دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

مختار

ديوان

علم الدين أيدمر المحيوي

فهرس

قوافى هذا المختار

صفحة

قافية الباء ... ... ٢٤ — ٢٥

« الحاء ٢٨

« الدال ... ... ١٣ — ١٦ و ٢٦ — ٢٧ و ٢٨ و ٤٦ — ٥٧

« الراء ... ... ١٦ و ٣٨ — ٤٣

« السين... ... ... ٥٨

« العين ... ... ١١ — ١٢ و ١٩ — ٢١ و ٣٠ — ٣٤

« القاف... ... ... ١ — ٧ و ٢٩ — ٣٠

« الكاف... ... ... ٤٦

« اللام ... ... ٧ — ١١ و ١٧ — ١٩ و ٢٦ و ٤٦

« الميم ... ... ٤٣ — ٤٥ و ٤٥ — ٤٦

« النون ... ... ٢١ — ٢٤ و ٣٤ — ٣٧

« الهاء ٣٠

« الياء ٢٥

(ملاحظة) قصائد هذا المختار غير مرتبة فى الأصل على الحروف الهجائية فطبعناها كما هى ووضعنا لها هذا الفهرس على الترتيب الهجائى لسهولة المراجعة فى هذه الطبعة .

المَغرب" — وهو كتابٌ مخطوط بدار الكتب المصريّة غيرُ مرقَّم الصفحات تحت رقم ١٠٣ تاريخ — وقد جاء فيه عند ذكر "أهل الفسطاط" ما نصّه :

"وأنشدنى علَم الدين" نخر الترك "أيدَمُر" عتيقُ وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط وأهلها :

حبَّذا الفسطاطُ من والدةٍ * جنَّبتْ أولادَها دَرَّ الجفا
يردُ النيـــلُ إليها كَدِرا * فاذا مازجَ أهليها صفا
لَطُفوا فالمُـــزنُ لا يألفُهم * خجَـــلا لمـا رآهم ألطفا

وذُكرتْ هذه الأبياتُ بنصّها منقولةً عن "المُغرب" فى الجزء الأوّل من خطط المقريزى السالف الذكر و "الجزء الرابع" من "كتاب الانتصار، لواسطة عقد الأمصار" صفحة ١٠٩ لمؤلّفه "إبراهيم بن محمّد بن أيدمُر العلائىّ الشهير بابن دُقماق" وغيرهما — ولم ترد هذه الأبياتُ فى هذا المختار — .

وذُكِر أيضا عَرَضا فى صفحة ١١٠ من كتاب ابن دقماق المذكور عند ما تكلّم عن جزيرة الروضة وعن القلعة الحصينة التى عمَرها بها "الملكُ الصالحُ نجمُ الدين أيّوب" سنة ستّ وأربعين وستّمائة هجريّة فقال :

ولما عمَرها السلطانُ "الملك الصالحُ" عمِل فى ذلك الأميرُ العالمُ المنشئُ ، الناظمُ الناثرُ، البليغ العلّامة "علمُ الدّين أيدمُر المحيوى" قصيدةً يمدح فيها السلطان و يذكُر هذه القلعةَ وهى من غُررِ القصائد" — ثم ذكر القصيدةَ القافيّةَ التى وردت فى أوّل هذا المختار من شعره وأوّلها — :

الرَّوضُ مقتبلُ الشبيبةِ مُونِقُ * خضِلٌ يكاد غَضارةً يتـدفّقُ

وأشرنا هنالك إلى أبيات زائدة عن الأصل المختار فوضعنا أمامها هذه النجمة (*) للدلالة عليها .

وعثرنا أيضا على ترجمةٍ لحياته فى "الجزء الأول" من كتاب "فوات الوفيات" لمؤلّفه العلّامة "صلاح الدين محمد" المعروف "بآبن شاكر" — صفحة ٩٦ — طبع بولاق سنة ١٢٨٣ وفيها شيء من الإسهاب ، إلا أنّها لم تذكر لنا سنةَ مولده ولا سنةَ وفاته ولا كيف عاش ، وهـذه الترجمةُ تكاد تكون متّفقة مع ما جاء خاصا به فى "الجزء الأول" من "المنهل الصافى" — صفحة ٢٨٨ — المحفوظ منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣

وقد آستخلصنا ممّا طالعناه أنه نشأ فى عصر "الدولة الأيوبية" فى منتصف القرن السابع كما هو واضح من قصائده التى آمتدح بها بعضَ سلاطينها ، وعاصر فيها "الصاحبَ بهاء الدين زُهيرا" كاتب إنشاء "الملك الصالح أيّوب" و"جمالَ الدين ابن مطروح" وغيرَهما من شعراء وكتاب الدولة الأيّوبية .

ونحن ننقل هنـا ما جاء خاصّا به فى كتاب "فوات الوفيات" السالف الذكر لآشتماله أكثر من غيره على شيء من الإسهاب كما قدّمنا ، قال :

"أيدمُر المُحيوى" فخر الترك عتيقُ محيي الدين محمّد بن محمد بن سعيد بن ندى ، قال آبن سـعيد المغربى فى كتاب "المشرق" فى ترجمة هـذا : بأى لفظ أصفُه ، ولو حَشدتُ جيوشَ البلاغة لفضله لم أكن أُنصفُه ، نشأ فى الدوحة السعيديّة فنمّت[1] أزاهرُه ، وطلع بالسماء البيانيـة[2] فتمّت[3] زواهرُه ، جُمعت لأفنانه أنواعُ الفنون

(١) فى الأصل : "ضمت" وهو تحريف .

(١) فى الأصل : "النبائية" وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : "ضمنت" وهو تحريف .

[والعلوم](١)، حتى خرج آيةً فى كلّ فنٍّ وبرع فى المنثورِ والمنظوم، مع الطبع الفاضلِ الذى عضَدَه، وبلَّغه من رياسة هذا الشأن ما قصدَه، لاسيما حين سمعتُ قولَه الذى أتى فيه بالإغراب، وترك "مهيارَ" معلَّقا منه بالأهداب :

بالله إن جُزتَ "الغُوير" فلا تُغِرْ * باللّيِّنِ منك مَعاطفَ الأغصانِ(٢)

وله أيضا رحمه الله :

وافاك شهرُ الصوم يُخبِر أنّه * جارٍ بأيمنِ طائرٍ ميمونِ(٣)

ما زال يَحفُو بدرَهُ شوقا إلى * لُقياك حتى عادَ كالعُرجونِ

وله أيضا عفا الله عنه :

رعى الله ليلا ما تبدَّى عِشاؤه * لأعيننا حتى تطلَّعَ صبحُه(٤)

كأنّ تغشِّيه لنا وانفراجَهُ * لقربهما إطباقُ جفنٍ وفتحُهُ

وقال أيضا وقد ركب مولاه البحر فانكسر المركب :

غضبَ البحرُ من حجابٍ منيعٍ * حائلٍ بينه وبين أخيهِ

دفعتْه(٥) حميّةُ الشوقِ حتّى * خرقَ الجُبَّ علّه يلتقيهِ

انتهى »

هذا كلّ ما حدّثنا به كتابُ "فواتِ الوَفياتِ" عن هذا الشاعر وهو لا يَشفِى غليلا ولا يُروِى ظمأً .

---

(١) زيادة يقتضيها السجع .

(٢) لم يرد هذا البيت فى هذا المختار، وقد ورد فى الأصل المنقول عنه هكذا .

* بالله إن جزت العوير فلا تعر *

ولا نشك فى تصحيفه .

(٣) ورد هذان البيتان فى قصيدته النونية فى هذا المختار ص ٢١ — ٢٤

(٤) لم يرد هذان البيتان واللذان بعدهما فى هذا المختار .

(٥) فى الأصل : « تدفقه » وهو تحريف .

ونحن نأملُ أن لا تكون الأيامُ عبثَتْ بديوانه ، فلم تُبقِ لنا منه إلا هذا المختار الذى آختاره أحدُ الأدباء المجهولين ، إذ كُتِبَ على أوّل صفحة منه :

«اختيار العبد... محمد بن... عبيد الله...»

مع طمس باقى الأحرف طمسا تاما .

ولقد بذلنا جهدا ليس بالقليل فى تصحيح هذا المختار لإشكال خطّه وآعوجاج حروفه وإهمالِ الكثير من كلماته ، حتّى كانت الكلمة الواحدة تستغرق وقتا طويلا لتقلّبها على كلّ وجهٍ يُحتَملُ إعجامُها به لتستقرَّ فى مكانها بما يناسب المعنى والسياقَ وفى هوامش الصفحات طائفة من هذه الكلمات أثبتناها لتكون مثالا لنظائرها ، مع شرح بعض الألفاظ التى يعسُر فَهمُها ، ولعلّنا بعدَ هذا الجهدِ الذى بذلناه نكونُ قد وُفّقْنا فى تصحيح هذا المختار الى السداد والصواب وذلك بمعونة الله و بإرشاد حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير "محمد أسعد برّاده بك" مدير دار الكتب المصرية ، وحضرة صاحب الفضيلة السيد محمد البيلاوى نقيب الأشراف ومراقب إحياء آداب اللغة العربية ، وبمعاونة حضرة الأستاذ "أحمد زكى العدْوىّ أفندى" وهو فضلٌ سيذكره لهم على الأيام لسانُ هذا العمل الأدبىّ العظيم ؛

أحمد نسيم

بدار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مختارٌ من شعر علمِ الدِّينِ أيدَمُرَ المُحْيَوِيِّ التركيِّ

قال يمدح السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب رحمه الله، ويصف الأبنية التي أنشأها بجزيرة مصر، والبرج المجدد على "المقياس"، ويذكر يوم "التخليق"[1]:

الروضُ مقتبلُ الشبيبةِ مونِقٌ ... خضلٌ[2] يكاد غضارةً[3] يتدفَّقُ

نثرَ الندى فيه لآلئَ عِقدِهِ ... فالزَّهرُ منه متوِّجٌ ومُنَطَّقُ[4]

وارتاعَ من مرِّ النسيم به ضُحًى ... فغدتْ كمائمُ زهرِهِ تتفتَّقُ

وسرَى شُعاعُ الشمسِ فيه فالتقى ... منها ومنه سنًا شموسٌ تُشرِقُ

والغصنُ ميّاسُ القوامِ كأنه ... نشوانُ يصبح بالنعيم ويغبقُ

والطيرُ ينطِق معربًا عن شجوه ... فيكاد يُفهَمُ عنه ذاك المنطِقُ

غِرِدًّا يغنِّي للغصون فتنثنى ... طربًا جيوبُ الظلِّ منه تَشَقَّقُ

والنهرُ لمّا راح وهو مسلسَلٌ ... لا يستطيع الرقصَ ظلٌّ يصفِّقُ

فتملَّ أيّامَ الربيعِ فإنها ... ريحانةُ الزمنِ التي تُستَنشَقُ

---

(١) يوم التخليق هو يوم فتح الخليج، وكانت عادتهم أن يذهبوا الى المقياس ويخلقون عموده بأنواع الطيب والزعفران استبشارا بوفاء النيل. (٢) الخضل: الندى. (٣) الغضارة: اللين والنعومة. (٤) في الأصل "منطق" وهو خطأ.

وسلافة باكرتُها فى فتيةٍ ... من مثلها خُلُقٌ لهم وتخلُّقُ

[قد عُتِّقتْ حتى تناهت جِدَّةً ... وكذاك يصفو التبرُ حين يُحرَّقُ] (*)

شربتْ كُأفتَها الدهورُ فما تُرَى ... فى الكأس إلا جذوةً (١) تتألَّقُ

يسعَى بها ساقٍ يهيجُ به الهوى ... ويُرِى سبيلَ العشق من لا يعشقُ

تتنادم الألحاظ منه على سنًا ... خد تكاد العينُ فيه تغرقُ

راق العيونَ غَضارةً ونضارةً ... فهو الجديدُ ورقَّ فهو معتَّقُ

ودنا كما لمع الحسامُ المنتضَى ... ومشى كما اهتزَّ القضيبُ المورقُ

[لا غروَ أن ثملتْ معاطفُه فما ... ينفكُّ فى فيه الرحيقُ (٢) يُصفَّقُ] (٣)

وأظله من فرعِه وجبينِه ... ليلٌ تألّق فيه صبح مشرقُ

وكأنَّ مقلتَه تردِّدُ لفظةً ... لتقولَها لكنّها لا تنطِقُ

فإذا العيونُ تجمَّعتْ فى وجهه ... فاعلَم بأنَّ قلوبَها تتفرَّقُ

إيهٍ مديحى لا خُطاكَ قصيرةٌ ... يومَ الرِّهان ولا مجالُك ضيِّقُ

هذا مقامُ الملك، حيث تقول ما ... تهوى وتُطنب كيف شئت فتَصدُقُ

فى حيثُ لا شرفُ الصفاتِ بمعوِزٍ ... فيه ولا بابُ المدائح مغلَقُ

ملكٌ يلوذُ الدينُ منه بمعقلٍ ... أشبٍ (٤) سُطاه (٥) سُورُه والخندقُ

[ظلّ الإله على العباد وسرُّه ... فى الأرض والركنُ الشديد الأوثقُ] (٦)

[من ألقت الدنيا مَقالدَ أمرِها ... بيديه وهو بها أحقُّ وأليقُ]

(*) ملاحظة : الأبيات التى بين هاتين العلامتين [ ] زيادة فى كتاب الانتصار لابن دقاق .

(١) الجذوة — مثلثة الجيم — : القطعة تقتبس من معظم النار . (٢) الرحيق : الخمر . (٣) يصفق : يروق . (٤) الأشب : المشتبك غير السهل ، وفى الأصل هكذا "أسيب" . (٥) كذا بالأصل ولعله يريد بها جمع سطوة كربوة وربى . (٦) فى الأصل «الأوفق» وهو تحريف .

[ذو صورةٍ تُنبيك عنه أنه ... مَلَكُ الملوك الحقُّ حين يحقَّقُ]

لو أن سِرَّ المُلكِ فيه مختفٍ ... قامتْ شمائلُه بذلك تنطقُ

هدأتْ بسيرته الرعيّة واغتدى ... قلبُ العدوِّ من المهابةِ يخفُقُ

فالدينُ بعدَ تفرُّقٍ متجمعٌ ... والكفرُ بعد تجمُّعٍ متفرِّقُ

"الصالحُ" المَلِكُ الذى أيامُهُ ... عِقدٌ به جيدُ الزمان مطوَّقُ

[أبهى من القمرين أصبحَ للهدى ... نجما به فلكُ السعادة مشرِقُ]

عرفَ الرعيَّةُ يُمنَ دولته التى ... فيهم تأكَّدَ عهدُها والمَوثِقُ

جَمعتْ - كما اقترح الرجاءُ - الى الغنى ... أمْنًا فقد رُزِقوا الذى لم يُرزَقوا

[وتعرَّفوا فى النيل من بركاتِهِ ... فضلَ المزيد كفاهُمُ ما أشفقوا]

فالله نحمد ثمَّ "أيوبَ" الذى ... أمِن الغنىُّ به وأثرَى المُملِقُ

بطلٌ تهيمُ عُداتُه بسنانِهِ ... عشقا، وقدُّ الرمح مما يُعشَقُ!

فتضمُّه ضمَّ الحبيب قلوبُها ... يومَ الوغى وهو العدوُّ الأزرقُ

آياتُ ملكك معجزاتٌ كلُّها ... ومدَى اهتمامك غايةٌ لا تُلحَقُ

* * *

شيَّدتَ أبنيةً تركتَ حديثَها ... مثلا يغرِّبُ ذكرُه ويشرِّقُ

من كلِّ شاهقةٍ تظلُّ تعجُّبا ... من هَولِ مطلعها الكواكبُ تشهَقُ

لبس الرخامَ ملوّنا فكأنّه ... روضٌ يفوِّفُه(١) الربيعُ المغدِقُ

واختال فى الذهب الصقيلِ سقوفُهُ ... فكأنّه شفقُ الأصيل المشرقُ

يا حسنَها و"النيلُ" مكتنِفٌ بها ... كالسطرِ مشتملا عليه المُهرَقُ(٢)

فكأنّها طرْفٌ اليه ناظرٌ ... وكأنّها جفنٌ عليه محدِقُ

---

(١) يفوفه : يوشيه . (٢) المهرق : الصحيفة .

وافاه مصطفقا عليه موجُهُ فكأنّما هو للسرور مصفّقُ
وتجاذبتْ أيدى الرياح رداءَهُ عنه فظلّ رداؤه يتمزّقُ
وسرى النسيمُ وراءهنّ برفقهِ فرَقا الذى غدتِ الرياحُ تخرّقُ
تلك المنازل، لا حديثٌ يُفترَى مما سمعتُ ولا "العراقُ" و"جِلّقُ"(١)

* * *

لله يومٌ كان فضلُكَ باهرا فيه ومنك جمالُه والرونقُ
يومٌ تجلّى الدهرُ فيه بزينةٍ لما غدا "المقياسُ" وهو مخلّقُ(٢)
هو ثالثُ العيدين إلا أنه للّهو ليس على العبادة يُطلَقُ
جُمعتْ لمشهدهِ خلائقُ غادرتْ فيه رحيبَ البرّ وهو مضيّقُ
وعلى عُبابِ البحر من سُبّاحِهِ أُمَمٌ يغُصّ بها الفضاءُ ويشرَقُ
كادتْ تَبين لهم على صفحاتهِ طُرُقٌ ولكن يفتقُون ويرتُقُ
لم يمشِ مركوبٌ بهم فنفوسهم حثّوا النجاءَ(٣) كما تُحَثُّ الأينُقُ
خفّتْ جسومُهُمُ لفرط صبابةٍ هَزّتْ اليك فما خَشَوا أن يغرَقُوا
متجرّدين عن المَخيطِ لأنهم حُجّاج بيتِك غيرَ أن لم يَحلِقوا
طافوا به سَبْعا على وجناتهم سَعْيا(٤) وأرخَى سِترَه فتعلّقوا
والناسُ شاخصةٌ إليك عيونُهم كلٌّ يحدّدُ طَرفَه ويحدّقُ

---

(١) جلق : دمشق . (٢) مخلق : ملطخ بالخلوق وهو ضرب من الطيب فيه صفرة .
(٣) النجاء : الإسراع والسبق ، وفى كتاب الانتصار لابن دقاق :

* حثت اليك كما تحث الأينق *

وهى رواية أجود من التى فى الأصل . (٤) كذا فى كتاب الانتصار لابن دقاق والذى فى الأصل «سبعا» وهو تحريف .

ظمئت نفوسهم اليك فلم يكد ... صدرٌ يقرّ به فؤادٌ شيّقُ
متطلّعين كما تطلّع صائمٌ ... ايرى هلالَ العيدِ ليلةَ يُرمَقُ

* * *

حتى إذا قُضيَتْ مَناسكُ كعبةِ "ال ... مقياسِ" وهى لكم عوائدُ سُبَّقُ،
وشكرتَ ربَّك فى الزيادة داعيا ... ولشاكر النعمى المزيدُ محقّقُ،
ومددتَ "للتخليق" أكرمَ راحةٍ ... أضحى الخَلوقُ بطيبها يتخلّقُ،:
أقبلتَ تنظرك العيونُ فتنثنى ... حَسْرَى(١) وتلحظُكَ القلوب فتُطرِقُ
تمشى الهوينى قد علتْك سكينةٌ ... كادت قلوبُ القوم منها تُصعَقُ
متتوّجا تاجَ الجلالةِ(٢) لابسا ... حُلَلَ الوقارِ وأنت فيها أليقُ
وقد انتضت يُمنَى يديك مهنّدا ... عَضْبًا(٣) بُروقُ النصرِ منه تبرُقُ
حتى انتهيتَ الى مقرّ كرامةٍ ... بالنيّراتِ مزخرَفٌ ومنمّقُ
فخلعتَ حيثُ جلستَ منه تزينُهُ ... شرفا، فطاف بك الملوكُ وأحدقوا
كلٌّ يغُضُّ من المهابةِ طَرفَهُ ... فتراه وهو لغيرِ(٤) فكرٍ مطرِقُ
"والنيلُ" مضطربُ الغوارب مزبدٌ ... صبَّ اليك فؤاده متشوّقُ
لو يستطيعُ سعَى فقبّلَ راحةً ... هو فى السماح بخُلقها يتخلّقُ
فرأيتُ منك ومنه مجرى رحمةٍ ... يتباريانِ كلاهما يتدفّقُ
فمنحتهم نظرا وفضت عليهمُ ... نِعَما فأنتَ بذا وذا تتصدّقُ
أطعمتهم لمّا سقَى فعليكما ... رزقُ العباد، كلاكما يُسترزَقُ
لكنّ بينكما على ما فيكما ... من نسبةٍ فى الجود فرقا يفرُقُ

---

(١) حسرى: كالة معيية. (٢) فى كتاب الأنتصار لابن دقاق "المهابة". (٣) العضب: القاطع. (٤) فى الأصل * فتراه وهو فى غير فكرٍ مطرق * والشطر بهذه الحالة غير متزن.

تُحصِى الأصابعُ جـودَه لحسابهـا ... لكن حسابُ ندالك ليس يحقَّـقُ
ويفيضُ ذا فى كلِّ عـامٍ مرّةً ... وبحارُ جودك كلَّ حينٍ تفهق (١)
ويخُصُّ ذا قوما، وجودُك يستوِى ... فيـه لديك مغـرِّبٌ ومشرِّقُ
ونـدالك لا مَنٌّ يكدِّره، وذا ... يمتنُّ فهـو لأجلِ ذالك مُرنِق (٢)

* * *

لما غدا "المقياسُ" مقسِمَ رحمـةٍ ... يُحيِي الرعيّـةَ فيضُها المتـدفِّقُ،
أكبرتَ أن تعلو الملابسُ عِطفَهُ ... فكسوته أنوارَ شمسٍ تشـرِقُ
أنشـأته خَلْقـا جـديدا ما رأى ... راءٍ له شَـبَها ولا هـو يُخلَقُ

* * *

حرمُ الخـلافةِ حـلَّه من ربّه ... مـلكٌ بمقلتـه الخـلافةُ ترمـقُ
ذو مغنيين (٣) فالتمنُّـع معقِـلٌ ... صعبُ المـرام وللتمتُّع جوسَـقُ (٤)
أخذَ الوقارَ عن المشيبِ وزيِّه ... لكن عليـه من الشبيبـةِ رونقُ
إيوان "كسرَى" حيثُ شئتَ رأيته ... منه، وأدنَى ما هنـاك "خورنقُ" (٥)
حصنٌ تمرَّد منعـةً لا "مارِد" (٦) ... وعلا فعـزَّ منـالُه لا "الأبلقُ"
ذُعِرَتْ به هُوجُ (٧) الرياح فما جَرتْ ... فى جـوِّه إلا بقلبٍ يخفِـقُ
وكأنمـا هـو فى التخـومِ ملجَّجٌ ... وكأنّمـا هـو فى السماء معلّقُ

---

(١) تفهق : تنصب من كثرة امتلائها . (٢) مرنق : غير صاف . (٣) المغنى : المنزل . (٤) الجوسق : القصر، ويشير الشاعر بذلك الى المنظرة التى كان يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج . (٥) الخورنق : قصر فى الحيرة للنعمان بن المنذر . (٦) مارد : حصن بدومة الجندل، والأبلق : حصن السموأل بن عادياء بين الحجاز والشام، وفيهما قالت الزباء حين أرادت غزوهما : "تمرد مارد وعز الأبلق" فصار قولها مثلا لكل عزيز ممتنع . (٧) هوج جمع هوجاء وهى الريح العاصفة الشديدة .

* * *

هـذا الذى أغنَى الملوكَ بجـودِهِ ... من بعد ما حاموا عليـه وحلّقوا
كم أعمـلوا الآراءَ فيـه فأمعنـوا ... وتأمّـلوا نظـرا إليـه فـدقّقوا
هيهات ! جُزت مدَى الملوك الى مدًى ... رجمُ الظنونِ إليـه لا يتطـرّقُ
بـل من يلومهُمُ اذا ما قصّروا ... أم من يعنّفهـم اذا لم يلحقـوا ! ؟
إن عارضـوا معنًى فإنك مبدِعٌ ... واذا آقتفَـوا أثرا فإنّـك تخـلُقُ
أدركتَ بالتمكين ما لم يُدرِكوا ... ورُزقتَ بالتوفيـق ما لم يُرزَقوا
وبلغتَ غايتَهـم بأوّلِ وهـلةٍ ... عفوًا فليس بمنكرٍ أن يُسـبَقوا
ولأنتَ أبعـدُ فى المـكارم غايةً ... من أن يُحيطَ بكُنهِ وصـفِك منطِقُ
فآنقُضْ وأبرِمْ فالقضـاء مسـدَّدٌ ... والسـعدُ مكتنِفٌ وأنتَ موفَّقُ

* * *

وقال يمدحه ويهنئه بفتح دمشق :

نُصرتَ بالرُّعبِ قبلَ البِيضِ والأسلِ (١) (٢) ... ولطفِ صُنعٍ كصنعِ الله للرسُـلِ
ونِلتَ (٣) بسـطةَ تمكينٍ قهـرتَ بها ... معانديك فضعْ وآرفع وصُـلْ وطُلِ
قد قلتُ إذ جاء بالفتحِ البشـيرُ به : ... اللهُ أكبرُ هـذا غايةُ الأملِ
اليومَ أصبحَ مُلك الأرضِ مرجِعُـه ... لدولةٍ، وبنُو الدنيا الى رجـلِ
فتحٌ تقومُ له الدنيـا وتقعُـد إذ ... ظلّتْ (٤) تقسّم بين الأمنِ والوجلِ (٥)
أمّا العـدوُّ فأمسَى لا قـرارَ له ... من الحذارِ وقرّت عينُ كلِّ ولِي
سللتَ سـيفا ملأتَ الخافقيْن معا ... ذُعرا به وضربتَ السهلَ بالجبـلِ
فقـد تنبّـه مَن فى عينه سِـنةٌ ... فقام بالكره منهـم كلُّ ذى مَيـلِ

(١) البيض : السيوف . (٢) الأسل : الرماح . (٣) فى الأصل هكذا : « بت » . (٤) فى الأصل : « طلت » . (٥) فى الأصل «الأجل» وهو تحريف .

أزلتَ مُلكا وروّعتَ الملوكَ به ... وأنتَ فوق سرير الملك لم تُزَل

ما زالَ حلمُك يُغريهم بجهلهمُ ... دهرا وما كنتَ بالوانى ولا الوكِلِ (١)

ترجُو العواقبَ تَثنيهم وترجعهم ... إليك رُعبا لعهدٍ عنه لم تحُلِ

حتّى لو آنَ لسانَ الدهر يُفصِح عن ... قولٍ لقال : لقد أوسعتَ فى المَهَلِ

تثبّتا (٢) ما ظننّاه يكون لإنْ ... سانٍ وقد خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلِ

أهملتَهم فإذا بالقوم قد رتَعوا ... وحاولوا نقلَ ملكٍ غيرِ منتقِلِ

وحدّثتْهم نفوسٌ — ما نصحنَ لهم — ... مُنَى أحاديثَ مَنْ يسمع لها يخَلِ ! !

فخاذبوك رداءً أنت وارثُه ... بسُنّة السيف عن آبائك الأُوَلِ

هيهات ! هيهات ! ما كانوا بكيدهمُ ... لينقُضوا مبرَمَ الأحكام فى الأزلِ

هل يسلبون إياب (٣) الشمس بهجتَها ... ويَصرِفون عُباب (٤) العارض الهطِلِ

أم يحسُدون نجومَ الأفق رِفعتَها ... فيرفعوا التُّربَ كى يعلُو على "زحلِ" (٥)

قضيّةٌ ذكّرتْنى إذ سمعتُ بها ... ما قيل فى الصخرة الصمّاء والوعِلِ (٦)

الملكُ لله ، أنّى شاء يجعلُه ، ... وهْىَ المقاديرُ قلْ عنها ولا تَسلِ

أحين دارت رحَى الحرب الطحونِ بهم ... رامُوا النجاةَ ولا مَنجَى من الأجلِ

وقال قائلُهم — والموتُ يطلبُه — : ... مالى بعادية الأيّام من قِبَلِ

هلّا وحلمُك مبذولٌ وعفوُك مأ ... مولٌ وصفحُك مسدولٌ على الزلَلِ ؟ !

---

(١) الوكل : العاجز . (٢) فى الأصل هكذا «تثما» . (٣) فى الأصل «أيات» ، وهو تصحيف . (٤) فى الأصل «عنان» وهو تصحيف ، ومعناه مأخوذ من المتنبى فى قوله :

* ومن يسدّ طريق العارض الهطل *

(٥) فى الأصل «رجل» وهو تصحيف . (٦) الوعل : تيس الجبل ، يشير الى قول الشاعر :

* كقاطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل *

أمّا وقد صُلتَ بعد الحلم منتقما ... فلا مَرَدَّ لسيفٍ سابقِ العذلِ

وجّهتَ سيلَ(١) المنايا نحوهم فغدَوا ... غداةَ سالَ بهم غرقى بلا بَلَلِ

يرمى النحورَ بهم رامٍ بسعدك مد ... لولُ السهام على الأكبادِ والمقلِ

فهو المعينُ بجهدٍ منه يُعملُه ... وهو المعانُ بسعدٍ منك معتملِ

جيشا تغصُّ به الأرضُ الفضاء كما ... تراكمَ الغيمُ يومَ الدَّجْنِ ذا زَجَلِ(٢)

من الكُماةِ التى تُطوَى ضلوعُهمُ ... على العزيمةِ والإقدامِ لا الفشلِ

من كلِّ أمضَى من الهندىّ فى يدهِ ... عزما وأنفذَ إقداما من الأسلِ

ليثٌ من القوم ما "خَفّانُ"(٣) موطنُهُ ... رامٍ من التُّرك لا يُعزَى الى "ثُعَلِ"(٤)

يكون أثبتَ يوم الرَّوع من جبلٍ ... راسٍ وأجولَ(٥) فى الصّفّين من مَثَلِ

همُ عبيدك من قومى ومن جمعت ... دعوى ولائك تحت الحادثِ الجَلَلِ

بعُدتُ عنهم فلم أشهَدْ مَشاهدَهم ... بحُثتُ بالقولِ إذ جاءوك بالعملِ

أضحى الزمانُ "بنجم الدينِ" معتدلا ... فالدهرُ أجمعُ منه الشمسُ فى "الحَمَلِ"(٦)

"الصالحُ" الملكُ السلطانُ خيرملو ... ك الأرضِ حَلّى بنى الدنيا من العطَلِ

مَلْكٌ يبُزُّ أعاديه مغالبةً ... ولا يُدير — لذاك — الفكرَ فى الحيلِ

مسدّدُ الرأى ميمونُ النقيبة منـ ... ـصورُ العزيمةِ عالى الجَدِّ مقتبلِ

إن كان مستخلَفا فى الأرض فهو لها ... أهلٌ، و بالأمر منها بالقيام مَلِى

---

(١) فى الأصل «سبل» وهو تصحيف .

(٢) الزجل : الصوت العالى والمراد به «الرعد» ، وفى الأصل : «رجل» وهو تصحيف .

(٣) خفان : أجمة كثيرة الأسود بالكوفة .

(٤) ثعل : قبيلة من العرب مشهورة برماية السهم .

(٥) فى الأصل «وأحول» وهو تصحيف .

(٦) الحمل : برج من بروج الشمس .

له يقينُ "أبى بكرٍ" وعدلُ "أبى حفصٍ" وجودُ "أبى عمرو" وبأسُ علي (١)

ترنّح الدهرُ وآهتزّت معاطفُهُ وراح يسحبُ ذيلَ التيهِ والجذلِ (٢)

والأرضُ قد أخذَتْ للناس زُخرُفَها وآزّيّنَتْ فهْىَ فى حَلْيٍ وفى حُلَلِ

مسرّةٌ فى قلوب الناسِ قد ظهرَتْ حتى على شُرُفِ الجدرانِ والقُلَلِ

تطاولتْ ألسُنُ الأعلامِ منشدةً مدائحا لك لم تُنشَدْ ولم تُقَلِ

إذ قمنَ "بالقلعة الشهباء" مائلةً طوعَ الرياح على العسّالة الذُّبُلِ (٣)

يخفُقن مثل خُفوقِ البرقِ فى سُحُبٍ من السوابغ (٤) لا تشفى من الغُلَلِ

فآعجبْ لنشءِ (٥) سحابٍ ليس عارضُهُ بخُلّبِ البرقِ لم يُمطِر ولم يَسِلِ

والبيض عارية الأبدانِ أخرجَها فرطُ السرور من الأجفانِ (٦) والحِلَلِ (٧)

من كلّ مثل شُعاع الشمس مبتذَلٍ ما زال قبلُ مصونا غيرَ مبتذَلِ

شكرا لسعيكَ عن آتى الزمانِ وعن أهلِ الزمان وأهلِ الأعصُرِ الأُوَلِ

فرّجتَ من كُرَب، أمّنت من وَجَل، قوّمتَ من أَوَدٍ، سددتَ من خللِ

فدُمْ تدُمْ بهجةُ الدنيا فإنك ذا خيرُ الملوك وهذى خيرة الدّولِ

وآستعجلِ بِكرا متى تُجلَى لديك، وقد طالت لدىّ على أترابِها (٨) الطُّوَلِ

جاءتك من قِبَلِ الأيام مُثنيةً على علاك وإن جاءتك من قِبَلى

---

(١) أبو حفص : كنية سيدنا عمر بن الخطاب ؛ وأبو عمرو : كنية سيدنا عثمان بن عفان .

(٢) الجذل : الفرح ، وفى الأصل «والجدل» وهو تصحيف . (٣) العسالة الذبل : الرماح .

(٤) السوابغ الدروع الضافية ، والغلل جمع غلة وهى شدة الظمأ . (٥) النشء : أول ما ينشأ من السحاب . (٦) الأجفان جمع جفن وهو غمد السيف . (٧) الحلل جمع حلة — بكسر الحاء — وهى جلد منقوش بالذهب تغشى به أغماد السيوف . (٨) أتراب جمع ترب وهى التى ولدت مع أخرى فكانت على سنها ، والطول جمع طولى وهى المرتفعة

عذراء ينشطُ راويها ويظهر فى ... ذوى البلاغة منها قرّةُ المجلِ[1]

فلو رأى "مُسلِمٌ"[2] أعجازها لغدا ... عن مذهبِ الشعر يبدى رأى معتزلِ

وقال من ربقةِ الآداب منخلعا: ... (أُجرِرْتَ حبلَ خليعٍ فى الصِّبا غزِلِ)[3]

ولو "أبو الطيّبِ الكوفى" أُسمِعها ... لقال لى قول لاعىٍّ ولا خطلِ:

أجبت دارَ القوافى وهى آهلةٌ ... لمّا أجبتَ (وما الداعى سِوى طَلَلِ)[4]

* * *

وقال يمدحه ويهنئه بعيد الفطر الواقع فى سنة ثمانٍ وثلاثين وستمائة:

سجدَتْ لطلعتك البدورُ الطُّلَّعُ ... وعنَتْ لعزّتك الرواسى الخُشَّعُ

ونبا لهيبتك الحسامُ المنتضَى ... ووَهَى لسطوتك السِّنانُ المُشرَعُ

وانقادت الدنيا إليك فأصبحتْ ... وزمامُها بيديك لا يتمنَّعُ

فالدهرُ طوعٌ فى يدَىْ أحكامِه ... تقضِى فيَمضِى أو تقولُ فيسمَعُ

اليومَ عزُّ المُلكِ يستعلِى بمن ... تعنو له صِيدُ[5] الملوك وتخضَعُ

"الصالحُ" الملكُ الذى أيامُهُ ... غُرَرٌ وكلُّ الدهر وجهٌ أسفَعُ[6]

وكأنّ دولتَه المنيرةَ روضةٌ ... طاب المقيلُ بها ولذّ المرتَعُ

---

(١) القرة: الرعدة تصيب الإنسان من البرد وغيره، وفى الأصل «فره» وهو تصحيف.

(٢) يشير الشاعر مع التورية الى مسلم بن الوليد الشاعر المشهور بصريع الغوانى. (٣) يشير الى مطلع قصيدة مسلم بن الوليد المذكور، والبيت:

أجررت حبل خليع فى الصبا غزل ... وشمرت هم العذال فى العذل

(٤) يشير الشاعر الى قول المتنبى:

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل ... دعى فلباه قبل الركب والإبل

(٥) صيد جمع أصيد وهو الملك لأنه لا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا. (٦) الأسفع: الأسود.

لبستْ به الدنيا رداءً مُعلَماً (١) بالعدلِ لا يَبلَى ولا هى تَخلَعُ

وتعمَّدتْ قَصدَ السبيل قويمةً تمشى وكانت تستقيمُ وتظلَعُ (٢)

هدأتْ به، ولقد تكون كأنها لُجٌّ تساوره الرياحُ الأربعُ (٣)

مَنْ وجهُهُ ويمينُه لعفاتِهِ بدرٌ وبحرٌ يستنير وينبُعُ

تتجاذبُ الشِّيَمَ الحرائرَ نفسُهُ لكن لأشرفِها تحنُّ وتنزعُ

تتفرق الأهواءُ فى تمجيدِهِ وعلى محبّتها له تتجمَّعُ

ودعَتْ محبّتُه وهيبتُه الورى طُرًّا فكلُّهمُ إليه مُطِيعُ (٤)

يردُون حوضَ العدل غيرَ مكدَّرٍ طال الهُيامُ بهم وطابَ المشرَعُ

فالناسُ فيك اثنانِ : إما مُرغَمٌ ينقادُ كرها أو محبٌّ طيِّعُ

فانفعْ وضُرَّ فليس يصلُح معشَرٌ طوعا على من لا يضُرُّ وينفَعُ

واعذِرْ عِداك وإن بغَوا، فلربّما ركَضَ الذبيحُ ولحمُه يتوزَّعُ (٥)

وكأنّهم بك قد بُعِثت عليهِمُ حربا تَمُجُّ شُواظَ نارٍ تسفعُ

فأسلم لدينٍ قد هَدَيتَ إليه مَن لا يهتدِى وجَمعتَ ما لا يُجمَعُ

وحَميتَ حَوزَتَهُ فأصبح وهو فى أيام دولتك الأعزُّ الأمنعُ

وتهنَّ بالعيد المبارَك وابق ما أحببتَ مقتدِرا تحُطُّ وترفَعُ

أصبحتَ ظِلَّ الله بين عباده فى الأرضِ تُعطِى من تشاء وتمنعُ

فالأرضُ دارُك وهى دارُ إقامةٍ والسعدُ عبدُك وهو عبدٌ طيِّعُ

---

(١) المعلم : ذو الشارة . (٢) تظلع : تعرج ، وفى الأصل : « تطلع » وهو تصحيف .

(٣) الرياح الأربع : هى الشمال والجنوب والدبور والصبا . (٤) مهطع : مقبل مسرعا خائفا .

(٥) تسفع : تلفح .

* * *

وقال يمدح السلطانَ الملك الكاملَ — قدّس اللهُ روحَه — ويذكُرُ أيّام دِمياط، وقصدَ الفرنج لها، وظفرَهُ بهم :

يدُك العليَّـةُ ليس يعـلوها يـدُ ... ولك الورى خَـوَلٌ(١) وأنتَ السـيّدُ
والدهرُ طوعَ يديك طـولَ حيـاتِه ... يسـعَى الى ما ترتضـيه ويَحفِـدُ(٢)
ولديك يَعـرِف كلُّ مَلْكٍ قـدرَهُ ... وعليـك يلتفُّ التُّـقَى والسـؤددُ
واليـك تنتسبُ العُـلا وعليـك يـ ... ـتّـكلُ الندى ولديك تُكتسبُ اليـدُ(٣)
وجبينُك البـدرُ المنـيرُ المجتـلَى ... ويمينـك البحـرُ الغمـيرُ المزبِـدُ(٤)
منحٌ رآك الله أهـلا أن تقـ ... ـلّـدها فقـلّدك الذى تتقـلّدُ
ذكرَتْ مفاخرَها الملوكُ وخيرُ ما ... ذكرتْه منها أنها لك أعبُـدُ
ذكراك فيهـم سجـدةٌ مسـنونةٌ ... فلذا مـتى تُذكَرْ لديهم يسـجُدوا
فاذا هُمُ نظـروا إليـك فأعينٌ ... حَسرَى وأفئـدةٌ تقـوم وتقعـدُ
يرجون جودَك مع مهابتهم لسطـ ... ـوتك التى منها الفـرائصُ تُرعَـدُ
فهُمُ — وإن شطّ المزارُ — يقودُهم ... كرها اليـك تهيُّبٌ وتودُّدُ
ولأنتَ تفعـلُ ما تشـاءُ وما لهم ... إلا المـنَى وطِـلابُ ما لا يوجَدُ
سـعَدت بكم "مصرٌ" وأيّة بقعةٍ ... خيمتُمُ فيها وليست تسعَـدُ؟!
فهـواؤها رُوحُ النفـوسِ وماؤها ... ماءُ الحيـاةِ وتُربها بك إثمِـدُ(٥)
يا غرّةَ الدنيـا وكعبتَها التـى ... من كلِّ ناحيـةٍ تُؤَمُّ وتُقصَـدُ
أرضٌ لهـا شرفٌ، سـواها مثلُها ... لو كان مثـلُك فى سـواها يوجَدُ

(١) الخول : الخدم . (٢) يحفد : يسرع . (٣) اليد : النعمة والفضل .
(٤) الغمير : العذب الصافى . (٥) الإثمد : حجر يكتحل به .

مَلِك الملوك وخيرُ من عُقدت له الـ ـتّيجان فى قِدَم الزمان وتُعقَدُ

مَلِكٌ له فى كلّ مكرمةٍ يدٌ بيضاءُ جلّت أن تشابهَها يدُ

صدقتْ أحاديثُ المكارِم والعلا إذ كان أجمعُها اليه يُسندُ

قبِّلْ شِفاه الترب من عتباته (١) فهناك أرخصُ ما يكون العسجدُ

هو فى جُموعٍ من شهامةِ قلبه وإذا طلبتَ له النظيرَ فمفردُ

مَلِكٌ عليمٌ (٢) أريحىٌّ (٣) مِسقَعٌ عزّافُ أعقابِ الأمور (٤) منجّدُ

فكأنما يُنبيه سرًّا يومُه عن كلّ كائنةٍ يجىء بها الغدُ

متفرّغٌ (٥) للمجد لا هو من دِدٍ يُلهيه عن كرمٍ ولا منه ددُ

البيضُ (٦) من صُنع القُيونِ (٧) لدى الوغى يُطربنَه لا البيضُ (٨) مما يُولَدُ

والأسمرُ (٩) الخطّار يُبهج نفسَه ويسُرُّها لا الأسمرُ المتأوِّدُ (١٠)

فذروا البدورَ فإنّ نورَ جبينه أبهى من البدر المنير وأسعدُ

وآنسوا الأسودَ فإنّ سطوةَ بأسه أحمى من الليث الهصورِ وأنجدُ

ودعوا البحورَ فإن جودَ يمينه أسخى من البحر النميرِ وأجودُ

كم مِنّةٍ "لأبى المعالى" "الكامل" الـ ـسلطان فى عُنقِ الهدَى لا تُجحدُ

---

(١) العسجد : الذهب .

(٢) الأريحى : الواسع الخلق . (٣) المسقع : بالسين كالمصقع بالصاد ، وكلاهما بمعنى الخطيب العالى الصوت أو الفصيح الذى لا يرتج عليه . (٤) المنجد : لغة فى المنجذ بالذال المعجمة وهو الذى جرب الأمور وقاسها فعقلها . (٥) الدد : اللعب ، وقد اقتبس الشاعر هذا القول من الحديث الشريف : «ما أنا من دد ولا الدد منى» . (٦) البيض : السيوف . (٧) القيون : جمع قين وهو صانع السيف . (٨) يريد بالبيض هنا الجوارى الحسان . (٩) الأسمر الخطار : الرمح . (١٠) الأسمر المتأود : القصن المثنى وهو هنا كناية عن القوام .

أيّامَ قال الشركُ بغيا للهدى : "دمياطُ" لى ولك الغداةَ الموعدُ

وأتى بما ملأَ البسيطةَ كثرةً والله ربُّك هادمٌ ما شيّدوا

جيشٌ اذا مسحتْ يداه بقعةً جفَّ المياهُ بها وذابَ الجلمدُ

كالسيلِ إلا أنه لا ينقضى والليلِ إلا أنه يتوقدُ

وأتى بك الإسلامُ وحدَك موقنا أن سوف تهزِم جمعَهم وتُبدِّدُ

حتى اذا ٱلتقيا طلعتَ عليهما بالنصر تُشقِى من تشاء وتُسعِدُ

فرددتَ شخصَ الشّرك وهو مسربلٌ خزيا ، ودينَ الله وهو مؤيَّدُ

حكّمتَ بأسَك فيهمُ فمكلّمٌ(١) ومجدّلٌ(٢) ومشرّدٌ ومصفّدُ(٣)

فالله يشهد أنّ دينَ "محمّدٍ" و"بمحمّدٍ" وله الخليقةُ تشهدُ

عزماتُ سلطانِ الزمانِ "محمّدٍ" قُضُبٌ(٤) يجرّدها الإلهُ ويُغمِدُ

عِزُّ الملوكِ بأن تذِلَّ لعزّهِ ولمن يعانده الهوانُ السرمدُ

إذ أنتَ ظلُّ اللهِ بين عبادهِ وأمينُه الهادى اليه المرشدُ

إن الذى صلَح الزمانُ بعدلهِ ملكٌ أعزُّ(٥) من الملوك ممجّدُ

كملتْ معاليه فقالوا : "كاملٌ" حُمِدتْ معانيه فقيلَ : "محمّدُ"

يأيّها الملأُ الذى سطواتُه نِقَمٌ وبحرُ نداه بحرٌ مُزبِدُ

أشكو الخمولَ الى علاك فإننى فيما أقولُ لمحسنٌ ومجوّدُ

أُبدى البديعَ ولا يزايلُ ظلُّه ظلِّى ، ومنه ما يسوءُ ويُكمِدُ

إن القريضَ — وإن تكاثر ساكنو أفيائِه(٦) — للعبدُ فيه الأوحدُ

---

(١) المكلم : المجرح .
(٢) المجدل : المرتمى على الجدالة وهى الأرض .
(٣) المصفد المكبل : بالأصفاد وهى القيود .
(٤) القضب : جمع قضيب وهو السيف .
(٥) كذا فى الأصل ، ويحتمل أن تكون « أغر » .
(٦) أفياء : جمع فىء وهو الظل .

لكنه أدناهُمُ قدرا إذا ... وردوا وأعلاهم اذا ما أوردوا

خذها كما جُليت[1] محاسنُ روضةٍ ... ظَلَّ النسيمُ بعرفها[2] يتردّدُ

عذراء، لا صدرُ الفصاحة ضيّقٌ ... فيها ولا وجهُ البلاغةِ أسودُ

لما جلوتُ عروسها سجدتْ لها ... (حُجُّوا الى تلك المناسكِ واسجُدوا)

عارض بهذه القصيدة ابن النبيه فى قوله :

"بغدادُ مكّتنا وأحمدُ أحمدُ ... حُجُّوا الى تلك المناسكِ واسجُدوا"

* * *

وقال يمدحه :

الله جارُك والورَى أنصارُ ... فانهض ونَلْ بهما الذى تختارُ

خضعتْ لهيبتك الأقاربُ والعِدا ... وجرتْ بوفقِ مرادك الأقدارُ

ملكٌ اذا امتدّت يداه الى الظُّبَا ... يوم الوغى تتقاصرُ الأعمارُ

مَنْ وجهُهُ قمرٌ ينيرُ، وسخطُه ... قدرٌ يُبيرُ[3]، وحدسُهُ[4] إبصارُ

وإذا القلوبُ تطايرتْ فى موطنٍ ... نزلتْ عليه سكينةٌ ووقارُ

ملكٌ له من بأسه وغَنائِهِ ... حِصنٌ أشمُّ وبحفلٍ جرّارُ

ملك يميلُ الى المكارم لا الدُّمَى[5] ... وتهزُّه العلياءُ لا الأوتارُ

ملك تهيمُ به بناتُ قلوبِنا[6] ... حبًّا وتعشقُ مجدَه الأشعارُ

لولاه كان الدِّينُ سَرحا ما له ... راعٍ وزندا ما عليه سِوارُ

---

(١) فى الأصل «جبلت» وهو خطأ . (٢) العرف : الرائحة الطيبة . (٣) يبير : يهلك . (٤) الحدس : الظن . (٥) الدمى : جمع دمية وهى الصورة المزينة من الرخام أو العاج تضرب مثلا فى الحسن . (٦) بنات القلوب : سويداواتها .

* * *

وقال يمدحه ويهنئه بفتح دمشق ، ويذكر عفوه عمن كانت بيده وجماعة من كان معه :

نهضت بنصرتك الرماح الذبل[1] ... وقضى بطاعتك الكتاب المنزل

وجرى القضاء بما يشاء كأنه ... لك بالذى تختاره متكفل

من كان يجهل أن حكمك نافذ ... يسل الرماح فإنها لا تجهل !

عدلتهن بخسرن فى جرح العدا ... والجور فى الأرماح حين تعدل !

أنى ينازع فى الممالك من له ... ذا الدهر جار والبسيطة منزل ؟

ملك تذل له الصعاب عزيمة ... عياء تنظر كل أمر من عل[2]

لم يرم يوما عن حنية[3] رأيه ... إلا أصيب من الصواب المفصل

" الكامل " السلطان ظل الله نا ... صر دينه الملك المعم المخول

ملك إذا عاينت فضل يمينه ... أيقنت أن البحر مما يبخل

وإذا بليت ولا بليت بسخطه ... حققت أن الخوف مما يقتل

يغنى العفاة وثغره متبسم ... يردى الكماة ووجهه متهلل

سبق الملوك الأولين جلالة ... وختامة فهو الأخير الأول

ملك له دون الفواحش والخنا ... من حلية المعروف ستر مسبل

---

(١) الذبل : جمع ذابل وهو الدقيق المضطرب من الرماح . (٢) عل : اسم بمعنى فوق ، فإن أريد به المعرفة كان مبنيا على الضم ، كقول بعضهم فى وصف فرس :

* أتب من تحت عريض من عل *

وإذا أريد النكرة كان معربا مجرورا بمن ، كقول امرئ القيس :

* بكلمود صخر حطه السيل من عل *

ويقال أيضا : أتيته من علا أى من فوق . (٣) الحنية : القوس .

يستحسنون البدرَ عند كماله ... ولأنتَ أحسنُ فى العيون وأجملُ
يستعظمون الليثَ عند نزاله ... ولأنتَ أجرأ فى الحروب وأجزلُ
بالدّين والدنيا وفى أهليهما ... نقصٌ وأنتَ لنقصهنّ مكمّلُ
أنتَ الذى ببهائه ووفائه ... وسخائه وذكائه يُتَمَثَّلُ
لولاك لم يكُ للشريعةِ جانبٌ ... يُرعَى ولا للحقّ قولٌ يُقبَلُ
لولا مساعيك الجميلةُ أصبحتْ ... غُرَرُ المعالى وهى شُعْثٌ(١) عُطَّلُ
لم يُجرِ ذكرَك ذاكرٌ فى محفلٍ ... إلا تعطّر منه ذاك المحفلُ
لم يُرمَ بأسمك أو برأيك مُعضِلٌ(٢) ... إلا انجلى وانجابَ ذاك المعضِلُ
لما نهدتَ(٣) الى الذين رمَى بهم ... فى الجهل حلمُك، والتحلُّم يُجهَلُ،
نضجتْ جلودُهمُ بنارٍ أُوقدتْ ... للخوفِ بين ضلوعهم تتأكّلُ(٤)
لو أيقنوا أنّ الفِرارَ من الردى ... ينجيهمُ فرّوا إذًا وتسلّلوا
لكنّهم علموا يقينا أنّهم ... لا يُعجزونك أحزنوا(٥) أو أسهلوا!
ولو انّهم ألقَوا مقادةَ أمرِهم ... بيديْك حين قصدتَهم وتوكّلوا،
لأنالَهم ضِعفَىْ مُناهم راضيا ... عنهم ونالوا عاجلا ما أجّلوا
لكنّهم دُهِشوا بهيبتك التى ... دُهِموا بها وهى المقامُ الأهولُ
فتحصّنوا حذرا، وبأسك لم يكن ... ليصدّهم لو شئتَ باب مقفّلُ
حتّى إذا جمعوا شتيتَ حُلومهم ... واستدبروا آراءَهم واستقبلوا،
وقفوا على أن ليس عنك لهم ولا ... لسواهمُ عند الحقيقة مَعدَلُ

---

(١) الشعث العطل : المغبرات الفاقدات الحلية . (٢) المعضل : الأمر الشديد ، ومن الأمراض ما لا دواء له . (٣) نهدت : نهضت . (٤) تتأكل : تتوهج . (٥) أحزنوا أو أسهلوا : أى سواء أكانوا بالحزن — وهى الأرض الوعرة — أم بالسهل .

فصفحتَ، عما كان، غيرَ مؤاخِذٍ ... فخطيئةً تعفو وعذرًا تقبلُ
وعصتْ سجيَّتُك الكريمةُ فيهمُ ... عذلَ الهوى، إنّ السجيةَ تُعذَلُ!!
ما كنتَ لو لم يعتدوا لتروعَهم ... حاشاك من إتيان ما لا يَجمُلُ
وهم العبيدُ فما لهم نزعوا يدا ... عن طوع مَنْ ما شاء فيهم يفعلُ!
تالله ما ضرُّوا سواهم إذ عصَوا ... والسمُّ شاربَهُ يضرُّ ويقتلُ
ما ضرَّ مَن فى طوعه الثقلانِ أن ... تعصيه شرذمةٌ عليه تُعوِّلُ
فليهنِ "جِلَّقَ" أنها قد أصبحت ... فى مستقرّ الملكِ لا تتحوّلُ
وأنا الضمينُ بأن سيُسلِي "جِلَّقا" ... عما مضى من عمرها ما يُقبِلُ
فاسلم على نَهَلِ الزمان وعلِّهِ[1] ... يا من به الدنيا تَجِلُّ وتَجمُلُ
فرغَ القضاءُ ولا مردَّ لحكمِهِ ... من أنّ جَدَّ معانديك الأسفلُ

* * *

وقال يمدحُ الملكَ الناصرَ عند وصوله الى خدمةِ السلطان الملكِ الكاملِ، ويذكرُ إنعامَ السلطان عليه، وركوبَ الناس فى خدمته:

جنابُك للإفضال والفضلِ مَجمَعُ ... ووجهُك للإحسان والحسنِ مطلعُ
ومجدُك للدنيا جمالٌ وزينةٌ ... وجودُك للآمال مرعًى ومَترَعُ
وطرفُك طَمَّاحٌ الى المجد والعلا ... وصدرُك فيّاح وقلبُك أصمعُ[2]
وبأسُك مرهوبٌ وسيبُك مرتجًى ... وبِرُّك زخّار وسُحبُك هُمَّعُ
وريحُك، أمّا للولىّ فسَجسَجٌ[3] ... ورُخاءٌ[4]، وأمّا للعدوّ فزعزعُ[5]

(١) النهل: الشرب الأول؛ والعل: الشرب الثانى. (٢) الفياح: المتسع، والأصمع: الذكى والشجاع الجرىء. (٣) السجسج: الريح التى لا حر ولا برد فيها. (٤) الرخاء: الريح اللينة. (٥) الزعزع: الريح الشديدة الهبوب.

ومالُك مبذولٌ وعِرضُك دونه ... منالُ "الثريا" للذى يتتبَّعُ

ولولا مساعيك الجميلةُ للعلا ... وأنك عن نفسِ المكارم تدفعُ

لأصبحَ ذكرُ الجود وهو مهدَّمٌ ... وأمسى فؤادُ المجدِ وهو مروَّعُ

على الدين والدنيا — ولا فجعا به — ... رداءٌ موشًّى من علاك موشَّعُ

بوجهِ "صلاح الدين" ينصدع الدجى ... اذا ما بدا والليلُ أسودُ أسفعُ

مليكٌ أديبٌ أريحىٌّ مجدَّدٌ ... عفيفٌ فصيحٌ حين ينطق مِصقَعُ (١)

هو الناهبُ الأرواحِ والواهبُ اللُّهى (٢) ... وبانى العُلا والنا — ك المتورِّعُ

أخو الجود، أما جُودُه فهو قاطنٌ ... لديه، وأمّا مالُه فموزَّعُ

اذا ما توارى الشمسُ أو غارَ منبعٌ (٣) ... فغرّته شمسٌ وكفّاه منبعُ

فلولا مماراةُ العيانِ لقلت: فى (٤) ... قبائك يا "داودُ" "موسَى" و"يُوشَعُ"

ليهنِك يا "داودُ" أن "محمداً" ... بكفك يُعطِى من يشاء ويمنعُ

وأنك منه بالمحلّ الذى غدا ... ومن دونه آمالُ غيرك طلّعُ

ولا تمدح البدرَ المنيرَ لحسنه ... فإنك أبهى منه وجها وأروعُ

ولا يُذهلنْك الليثُ بأسا ونجدةً ... فإنك أجرا منه قلبا وأشجعُ

ولا يُعجبنْك السيفُ حدًّا وجُرأةً ... فإنك أمضَى منه عزما وأقطعُ

وفى الرملِ والبيداءِ وُسعٌ وكثرةٌ ... وعلمُك من هذين أنمى (٥) وأوسعُ

فلو أنّ شخصا جسمُه مثلُ قدرِه ... لما كان فى الدنيا لغيرك موضعُ

"أداودُ" يا "عيسَى" الزمانِ ومن لنا ... براحتِه وادٍ من الجود مُترَعُ (٦)

---

(١) المصقع: الخطيب البليغ.

(٢) اللهى: أجزل العطايا واحدها «لهوة».

(٣) فى الأصل «مسبع» وهو تحريف.

(٤) القبا: الرداء.

(٥) فى الأصل: «ألمى» وهو تحريف.

(٦) المترع: الملآن.

أرانى اذا ما جاس مدحُك خاطرى ... كأنىَ فى رَوضاتِ "رِضوانَ" أرتعُ
فخذها كما أهدَى اليك تحيَّةَ الـ ... ـرِّ ياض نسيمُ الصبح والليلُ ينزِعُ
وتاللهِ ما نشرى ثناك تملُّقٌ ... لديك ولا مدحى علاك تصنُّعُ
ولم أُرخ عنك المدحَ من ضعف همتى ... ولا أنّ مدحى فى علاك مضيّعُ
ولكننى أحببتُ أن تسمع الذى ... يقول سَوائى ثم أنلو فتسمعُ
فتعلَمَ أنّ الشعرَ كلٌّ يقوله ... ولكنَّ بعضَ القول أعلى وأرفعُ

وقال يمدح الصاحبَ محيى الدينِ محمّد بن سعيدٍ ويهنّئه برمضان المعظّم :

ذُكِرَ "الحمَى" فأطال رَجْعَ أنينِ ... وغدَا يواصلُ زفرةً بحنينِ
وأعتاده وَلَهٌ يقسّمُ لُبَّهُ ... ما بين حالةِ حَيرةٍ وجنونِ
وجرَتْ محاجرُه دمًا فكأنما ... شرِقتْ بذوب فؤادِه المحزونِ
وتوقّدت أنفاسُه فحسبتُها ... مرّت بنارٍ(١) فى الضلوع مَعينِ
وَلَهَا يكفكفُ دمعَه بشماله ... أسفا، ويُمسك قلبَه بيمينِ
يا منزلا قضتِ الصبابةُ لى به ... ذِمَمَ الصِّبا ومآربَ العشرينِ
أيّامَ ألبَسُ للغَوايةِ ثوبَها ... وأجرُّ ذيلَ خلاعةٍ ومجونِ
وأجيبُ داعيةَ التصابى مُلقيا ... رسنِى(٢) اليه، يُضِلُّ أو يهدينى
ليتَ الذين ولِعتُ من كلَفٍ بهم ... حفَلوا بحرِّ تلهُّفى وحنينى!
قد كان يُضحكنى الزمانُ بقربهم ... فاليومَ عاد ببعدهم يُبكينى

(١) النار : مؤنثة وقد تذكر، والشاعر ذكرها هنا فنعتها بالمذكر . ومن ذلك ما أنشده سيبويه :
فمن يأتنا يلمم بنا فى ديارنا * يجد حطبا جزلا ونارا تأججا

(٢) الرسن : الحبل تقاد به الدابة .

يا "سعدُ" إنّ أخاك ضاق بشجوه ذَرعا، فهل من مُسعدٍ لحزينِ؟

لو كان قلبُك قلبَه لبكيتَ للـ ـباكى أسًى وحزِنتَ للمحزونِ

بل ما عَلَى دنفٍ تخاذلَ صبرُه عنه، فباحَ بسرِّه المكنونِ!

وبمهجتى ريمٌ[1] أروم تصبُّرا عنه فيُعجزنى قيادُ حرونِ

ضمِنتْ بدائعُ من محاسن وجهِه تفريقَ ألباب وجمعَ عيونِ

وتهزُّنا منه الصَّبَا فيهزُّنا طربٌ على إيقاعه الموزونِ

ووراءَ يا قوتِ المراشف لؤلؤٌ تجرِى عليه سُلافةُ الزَّرجُونِ[2]

إنى لأُفتَنُ بالمقبَّل فوقَه طُررٌ تناغى "الصادَ" منه "بسينِ"

ويشوقنى صُدغٌ تُسلسِلُ "واوَه" "لامًا" كساه الخالُ نقطةَ "نونِ"

ويروقنى لطفُ الشمائل من فتًى صحِبَ الزمانَ على اختلاف شئونِ

كُلًّا أصاب من الغوَاية والتُّقَى فأفاد ظَرفَ هوًى وعفّةَ دينِ

لم تُعطنى الأيامُ مطلبَ همّتى من رِفدها فأخذتُ ما تُعطينى

ورأيتُنى سخطى يدوم اذا أنا لم أرضَ إلا بالذى تُرضينى

حالٌ لعمرُك دون قدرى إنما أرضَى بها نظرا الى مَن دونى

شيئانِ مشتبهان فى صُوَريهما قمرُ السماء ووجهُ "محيي الدينِ"

مَن إن جرتْ مِدَحٌ لغير معيّنٍ فى الناس كنَّ له على التعيينِ

نَدَعُ اسمَه ونقول : أشرفُ من سما شرفا ، فنبلغُ غايةَ التبيينِ

واذا العقولُ أخذنَ فى تكييفه أمسكنَ عنه رهنَ رَجمِ ظنونِ

(١) الريم — ويهمز — : ولد الظبية .

(٢) الزرجون : العنب ، معرب زركون .

قـــلْ لابن فاعلةٍ تطلَّب مثـــلَه ... فى الناس : أفَّ (١) لرأيك المأفونِ (٢)

بل أنتَ فى حصـباءِ أرضٍ ظافرا ... — تربتْ يداك — بلؤلـؤ مكنونِ

فى أىّ مكرُمةٍ يقاسُ ولم يزلْ ... فى كلّ مكرُمةٍ عـــديمَ قرينِ

فى جوده "السَّفَّاح" أم فى عزمه "الـ ... ـمنصور" أم فى غيبـه "المأمونِ" (٣)

غَنِيتْ علاه عن إشـارة مادحٍ ... كغِنَى ذوات الحسن عن تحسينِ

ولربّ مـــدحٍ فى ســـواه كأنمـا ... تُجـــلَى به بِكرٌ على عنّينِ

متفنّنٌ (٤) فى المكرمات محـــيرٌ (٥) ... فيها الورى بغـــرائبٍ وفنونِ

أعطَى فقـال القائلون تعجُّبا : ... أعطـاءُ جودٍ أم قضاءُ ديونِ

سنَّ السبيلَ الى السماح وعلَّم الـ ... ـناس اقتفاءَ سبيله المسنونِ (٦)

تُجـــلَى الخطوبُ بسـيفه وبسيبه ... وبرأيه وبـــذكره المخزونِ

يرضَى بدونٍ من وفاءِ عشـــيرةٍ ... كرما ولا يرضَى له بالدونِ

قالت له العَليـاءُ : دِينى حَمْلُ أعـ ... ـباءِ المكاره، قال : دينُـــكِ دِينى

قلقُ الحشا أرقُ الجفونِ زمانُهُ ... لقـــرارِ أحشـــاء ونومِ جفونِ

يا من يطالب وافديه — بعد ما ... يُغنِى — على أن يَرجِعوا بضـــمينِ

ويجودُ بالنفس الكـريمة رغبـةً ... فى الحمد حيث يُضَنّ بالماعونِ

---

(١) أف : كلمة تضجر وفيها عشرة أوجه يرجع اليها فى معاجم اللغة .

(٢) المأفون : الضعيف .

(٣) أسماء خلفاء مشهورين استعملها الناظم من باب التورية .

(٤) فى الأصل : « متيقن » وهو تحريف .

(٥) فى الأصـل « مخير » وهو تصحيف .

(٦) المسنون : الواضح .

نفديك من ريب المنون بأنفس ... لولاك سال بهنّ ريبُ منونِ
وافاك شهر الصوم يخبر أنه ... وافى بأيمن طائرٍ ميمونِ
ما زال يَمحَق بدرَه شوقٌ إلى ... لقياك حتى عاد كالعُرجونِ (١)
هُزّتْ جوانحُه اليك صبابةً ... فلو استطاع أتاك قبل الحينِ
أخوان فى عذب الشمائل أنتما ... لا فى مناسبة ولا تكوينِ
خيرُ البريّة والشهور كلاكما ... يسمو بفضلٍ — لا يُردُّ — مبينِ
هنّأته بك ثم جئتُ مهنئا ... لك كالقرين مبشّرا بقرينِ
فأسلم لنا وله وعشْ بعديد سا ... عاتٍ تمرُّ له عديدَ سنينِ
من كان يدّخر النفيسَ فليس لى ... ذُخرٌ سوى ثقتى وحسن يقينى
"لمحمّد بن المصطفَى" والمجتبَى ... هذا لدنيائى (٢) وذاكَ لدينى

وقال أيضا، وكتب هذه الأبيات مع مجموع له :

العبدُ "أيدَمرُ" تطلّب تحفةً ... تُكسَى القبولَ لسيّد الأصحابِ
فرأى أجلَّ هديّةٍ تُهدَى له : ... ذوبَ النهى ونتائجَ الألبابِ
فأجالَ فى روض القرائح فكرَهُ ... ثم انتقَى منه لُبابَ لُبابِ
من طِيبِ نادرةٍ ولُطفِ فكاهةٍ ... وبديع بادرةٍ (٣) وحسنِ خطابِ
وسوائر الأمثالِ قد وشّحتُها ... فيه بمعجزِ سُنّةٍ وكتابِ
والجدّ موصولا بهزلٍ ينشطُ الـ ... ـقارى ويُطربُ أيّما إطرابِ

(١) العرجون : أصل عذق النخل الذى يعوج، وفى القرآن الكريم «حتى عاد كالعرجون القديم» .
(٢) الدنيا، — بالمد — : لغة فى الدنيا .
(٣) فى الأصل «نادرة» والسياق يأباها .

ونوادر الحكماءِ والبلغاءِ والـ ـخطباءِ والشعراءِ والكتّابِ
وجمعتُ فيه الى سلامة رقّة الـ ـحَضَر اللطيف جزالةَ الأعرابِ
فأتاك كالحسناء قد لبست على الـ ـإثراء ثوبَ نضارةٍ وشبابِ
والروضةِ الغنّاءِ أهدتْ نشرَها ريحُ الشَّمال ضُحَى غداةَ سحابِ

* * *

وقال يمدحه :

خليلى هذه أطلالُ «رَيّا» يجاذبها البِلَى نشرا وطيّا
أعِرْنى وقفةَ المحزونِ فيها أُعِرْك الشوقَ والقلبَ الشجيّا
وذكّرنى «الحمى» ذِكرَ التصابى سقى الله «الحمى» عنّا وحيّا
ومُضنَى الخصرِ لا يدرى يقينا أورِدٌ وجنتاه أم حميّا (٢)
أتانى زائرا من غير وعدٍ وقد مالت لمغرِبها "الثريّا"
فوفّى دَينَ شوقى حين وافى وأحيا مَيْتَ أنسى حين حيّا
وبتُّ أرى يقينَ الوصل شكّاً وقد ملأ الهوى منه يديّا
أفكّر فى الجفا أنّى تقضّى وأعجبُ للرضا أنّى تهيّا!!
وأهذُر بالعتاب على التجنّى فلا عتبٌ عليه ولا عليّا
"مهدُ" يا علىَّ الشأن أنّى نرى مَيْتَ الندى بك عاد حيّا
تراك المكرماتُ لهنّ أهلا وتَنفِرُ من سواك ولو تزيّا
فإن خطَبتْك مَرتبةٌ لترقَى إليها، قالت الأخرى : إليّا
كملتَ فلو إليك الأمرُ فيما يزيدك رفعةً ما ازددتَ شيّا

---

(٢) الحميا : الخمر.

وقال أيضا :

من أينَ للطّرفِ[1] أن يُراكبَه ... "مُحمّدٌ" وهو ظاهرُ الخُيَلا[2]

فلا لعمري ما اختال مزدهيا ... إلّا ويدري مَن الذي حَمَلا

وقال يمدحه :

هاج شوقَ المتيّم المعمودِ ... ذكرُ أيامِ "رامةٍ" "فزرودِ"

وخيالُ ألمّ، والليلُ يبكي ... بعضُه أجلَ[3] بعضه المفقودِ

"والثريّا" كساهرٍ أدركتْهُ ... سِنَةٌ فارتمى لغيرِ سجودِ

ونجومُ السماءِ تبدو وتخفَى ... كاشتعال المصباح بعد خمودِ

ناظراتٌ الى الدُّجَى نظر الحا ... سدِ في وجه نعمةِ المحسودِ

من فتاةٍ ليست سوى بدرِ تمٍّ ... مستنيرٍ وبانةٍ أُملودِ[4]

ذات وجهٍ تمحو به آيةَ اللي ... لِ وفرعٍ يأتي بليلٍ عتيدِ

تسلُبُ القلبَ حين يبدو بطَرفٍ ... وبخدٍّ ومبسمٍ وبجيدِ

وحديثٍ كأنّه نَثرُ درٍّ ... وثنايا كاللؤلؤ المنضودِ

تخلِطُ الوصلَ بالصدودِ، ويا مَا ... أعذبَ الوصلَ في خلالِ الصدودِ!!

جسمُها الماءُ رقّةً وصفاءً ... وبياضاً، وقلبُها من حديدِ

شهدتْ لي أنّي شهيدُ هواها ... وهي أدري — فأينَ أجرُ الشهيدِ

---

(١) الطرف : الجواد . (٢) يريد الخيلاء وهي الزهو، وقصرت للضرورة .

(٣) يريد من أجل أو لأجل ، وفي حديث المناجاة : «أجل أن يحزنه» وقد تفتح الهمزة وتكسر .

(٤) الأملود : الناعمة .

كلّما خلتُ أخلقَ الدهرُ هجرا ... قدّمته جاءت بهجرٍ جديد

صاح! دعنا من التغزّل واللهـ ... ـو وخذْ فى السماح "وابنى سعيد"

الخليفَيْن حيث كانا، فكلٌّ ... منهما لائذٌ بركنٍ شديد

هات حُرَّ المديح والحمدِ فى ذا ال ... (١) خُلُقِ الحُرِّ والفتى المحمودِ

أريحىٌّ، قالت له الهمّة العلـ ... ـياء يوما وجنبُه فى المهودِ:

ليس للجسم من خلودٍ بهذى الـ ... ـدار فاحتلْ للمجد فى التخليدِ

فأطال المقالَ منها فأضحى ... (٢) باذلا فيه غايةَ المجهودِ

هو طودٌ فى موطنٍ يلعبُ الخو ... ف بقلبِ المستضعَفِ الرِّعديد

وهو أحمى من الهزبرِ (٣) أبى الشّبـ ... ـلِ وأحيا من الفتاةِ (٤) الرُّودِ

كيف لا يغتدى الجوادَ وقِدْما ... أرضعته العُلا لِبانَ الجود!؟

يسعُ البيدَ قلبُه، وهو قلبٌ ... ضاق عن فِترِ مَكَنٍ للقُعودِ

بنداهُ تأدبَ الغيثُ حتى ... عمّ إذ جاد صادياتِ البيدِ

قمرٌ للصحاب أىُّ منيرٍ ... قدرٌ للعُداةِ أىُّ مبيدِ!

كم ثناءٍ أتبعتُه بثناءٍ ... وقصيدٍ أردفتُه بقصيدِ

واذا قلتُ: قد ملأتُ معالـ ... ـيه مديحا يقول: هلْ من مزيدِ

وهبَ اللهُ عُمرَ "نوحٍ" لمولا ... ى فإن لم يكن فعمرَ "لَبيدِ" (٥)

فى نعيمٍ وصحّةٍ وسرورٍ ... وعلاءٍ وقدرةٍ وسُعودِ

---

(١) فى الأصل: «يحر» وهو تحريف.

(٢) الضمير فى «فيه» عائد الى المجد فى البيت الذى قبله.

(٣) الهزبر: الأسد.

(٤) الرود: الشابة الحسنة التامة الخلق.

(٥) لبيد: شاعر معروف عمر طويلا وهو القائل:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد

* * *

وقال له :

لا أهنِّى مولاى بالعيـدِ إلّا ... خوفَ تعطيلِ سُـنَّةٍ تُعتادُ

فمن الجهـلِ أن يُهَنَّا بعيـد ... مَـن به الدهرُ كلُّه أعيـادُ

* * *

وقال يمدحه :

أنوَى وقلبي من جواك جريحُ ؟! ... رفقًـا ، أما لأسى الصبابة روحُ؟

أسْررتُ مابى فى الهوى مستيقنا ... إن دام هجـرك أننى سأبوحُ

زعمَ الكرى لى أنّ طيفَك زارنى ... كذَبَ الكرى ، أنّى يجودُ شحيحُ ! !

أرضَى الصدودَ تفاديا من بينكم ؛ ... مَـن للقتيل بأنّه المجـروحُ ! !

" لمحمّدٍ " فى المجد زَهرُ خلائقٍ ... زَهرُ الرياض بعَرفِهـا[1] مفضوحُ

أرسلتُ فكرى فى عُلاه يرودُها ... وتركتُ طرفى فى ذُراه[2] يسيحُ

فارتدّ عنهـا الفكر وهو محـيرٌ[3] ... وانحطّ عنـه الطرفُ وهو طليحُ[4]

يأبَى له أن يستقرّ برتبـةٍ ... طَرْفٌ الى رُتَب العَـلاء طَموحُ

الصـدرُ رحبٌ والمحيّـا واضحٌ ... والقلبُ أصمعُ[5] واللسـانُ فصـيحُ

تشـكو عزائمَه النجومُ لطول ما ... تغـدو على هاماتهـا وتروحُ

لا سؤلَ إلا أن يكون معمّرا ... فى غِبطـةٍ ما كان عُمّرَ " نوحُ "

---

(١) العرف : الرائحة الطيبة . (٢) الذرى : جمع ذروة وهى المكان المرتفع ، وفى الأصل «دواه» وهو تحريف . (٣) فى الأصل «محير» وهو تصحيف . (٤) الطليح : المتعب من الإعياء . (٥) الأصمع : الذكىّ ، ومن معانيه أيضا الشجاع .

وقال يمدحه :

طافَ بنا، والليلُ فى ثوبٍ خَلَقْ (١) يلمعُ من خلاله نورُ الفَلَقْ (٢)
والنجمُ يخبو تارةً ويأتلِقْ مثلَ عيونٍ كابدتْ طولَ الأرقْ،
خيالُ من أسكن جنبيَّ القلَقْ جبينُه الشمسُ وخدُّه العَبَقْ (٣)
يبدو فما أرمقُه فيمن رَمَقْ يأمرنى الوجدُ وينهانى الفَرَقْ (٤)
وصاحب مثل الرداءِ المختَرَقْ يُبدى الرضا منطوياً على الحَنَقْ
ما كلُّ ما ترجُو النفوس يتَّفِقْ، وقلَّما يسلَمُ صفوٌ من رَنَقْ (٥)!
والعتبُ منك لامرئٍ على خُلُقْ منزلةٌ بين السَّفاهِ والحُمُقْ
ألذُّ من وصفِ الغزال المنطِقْ ومن مناجاة الخيالِ إن طَرَقْ،
مدحُ فتًى ذكراه مِسكٌ يُنتشَقْ لكنّها فى حَلْقِ شانيهِ شَرَقْ
«ومحمَّدٌ» شمسُ الضحى بدرُ الغسَقْ (٦) محيى الندى مفنى النضار والورِقْ (٧)
صدرٌ بهىُّ الخَلْقِ مَرضىُّ الخُلُقْ خوّله الله تعالى ورزَقْ،
من المعالى كلَّ ما جلَّ ودقّْ سابقَ أربابَ المساعى فسَبَقْ،
مشيا وهمْ بين ذميلٍ وعَنَقْ (٨) لو قذف النجمَ بعزمٍ لأغترقْ (٩)
أو ضربَ البحرَ بكفٍّ لفَرَقْ أو رجَمَ الطودَ بحلمٍ لصَعِقْ
منجّد (١٠) إن فُتِقَ الأمرُ رتَقْ أو رتَقَ الأمرَ أعاديه فتَقْ
للجودِ فى يمينه حوضٌ بَثِقْ (١١) يؤمّه العافون من كلِّ أُفُقْ

(١) الخلق : البالى . (٢) الفلق : الصبح أو ما انفلق من عموده ، وقيل : الفجر .
(٣) العبق : انتشار رائحة الطيب وهو هنا مجاز عن الورد . (٤) الفرق : الخوف .
(٥) الرنق : الكدر . (٦) النضار : الذهب . (٧) الورق : الفضة . (٨) الذميل والعنق : ضربان من السير . (٩) اغترق : استوعب فى الزفير أى أعيى وكل . (١٠) المنجد المجرب للامور كالمنجذ بالذال المعجمة . (١١) بثق : امتلأ وطمى ؛ وفى الأصل « بيق » .

صفا لهم مشربُه العذبُ ورقْ (١) طَبٌّ بداءِ الخطب إن خطبٌ طَرَقْ
وما حسامٌ فوق متنيه طُرُقْ للذرّ لم تضرب به إلا صدَقْ
ترى له تلألؤا يُعشِي الحدَقْ فهو اذا سللتَه وَهْنًا برَقْ
تأنّق الطابع (٢) فيه فأنِقْ (٣) أقطعُ من عزمته لما لحقْ
كتبتُ عنه ما به المجدُ نطَقْ فالشعرُ من أفعاله المعنى سرَقْ

* * *

وقال ارتجالا وقد عرَض لرِجله الكريمة رَمحةُ فرس :

أما الجوادُ فما يُذَمُّ وإن أتَى بقبيحةٍ مذمومةٍ من شبهِهِ
لم تعتمد توهينَ رجلِكَ نعلُهُ حتى جريتَ مغبِّرا فى وجهه

* * *

وقال فى معارضة الموشح الذى مطلعه

(أيها الساقى إليك المشتكَى (٤) كم دعوناك وإن لم تسمع)

(١) الطب : الخبير الماهر بالشيء . (٢) الطابع : صانع السيوف . (٣) أنق : راع حسنه
(٤) هذا الموشح من نظم أمير المؤمنين ابن المعتز العباسى وأوله :

أيها الساقى اليك المشتكى قد دعوناك و إن لم تسمع
ونديم همت فى غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه وانتكا وسقانى أربعا فى أربع

ومثل ذلك موشح ابن بقّ القرطبىّ وأوله :

غلب الشوق بقلبى فاشتكى ألم الوجد فلبت أدمعى
أيها الناس فؤادى شغف
وهو من بنى الهوى لا ينصف
كم أداريه ودمعى يكف
أيها الشادن من علمكا بسهام اللحظ قتل السبع

يمدحه ويهنئه بالعيد :

عهدَ البينُ الى عينى البكا ثمَّ أوصاها بأن لا تهجعى

* * *

وسقى قلبىَ من خمرتِهِ
فهْو لا يعقلُ من سَكرتِهِ
فمتى يُنقَذُ من غَمرَتِهِ،
فى سبيل الحب قلبٌ هلكا شيَّع الركبَ ولمَّا يرجع

* * *

قال لى العاذل لمَّا نظرا،
مَن غدا قلبى به مشتهرا :
أكذا تعشقُ ! ماذا بشرا ! !
حاشَ لله أراه ملَكا مثلَ ذا فاعشَقْ وإلا فدعِ

* * *

هزَّ عِطفَ الغصن من قامتِهِ
مُطلعا للشمس من طلعتِهِ
ثمَّ نادى البدرَ فى ليلتِهِ :
أيّها البدرُ تغيَّبْ ويحكا ما احتياج الناس للبدر معى ؟ !

* * *

أنا علَّمْتُ القضيبَ المَيدا (١)
واستعار الظبيُ منّى الجيدا (٢)
وكذا ذا القرمُ (٣) من آل الندى
أبصر الغيثُ نداهُ فبكى وهو إن ظن سوى ذا مدّعى !

(١) الميد : الميل . (٢) الجيد : طول العنق وحسنه . (٣) القرم : السيد العظيم .

* * *

مَن جميع الفضلِ يحيَا عندَهُ
ليس للدين بحُيٍّ وحدَهُ
قال للتالى عليه حمدَهُ:
لِيَ حسنُ الذكرِ والمالُ لكا (١) فاقترحْ تُعطَ وقُلْ تُستَمعِ

* * *

آخذٌ بالحزم لا يتركُهُ
فى سوى الجود بما يملكُهُ
لا ترى فى المجد مَن يَشْرَكُهُ
وهو فى المال كثير الشُّرَكا ومن الحمد كثيرُ الشِّيَعِ

*

انت يا "موسى" رجائى آنسا،
نارَ جدواه فوافى قابسا
رحتَ فى حضرةِ قُدسٍ دائسا،
فى طُوَى السؤدد فاخلَع نعلكا وادعُهُ يأتِ بكبرَى "يُوشَعِ" (٥)

* * *

"لرشيدٍ" الأمرِ أضحى "عاضدَا"
رأيُه "المأمونُ" حزما راشدَا
ولديه "الفضلُ" "يحيَا" "خالدَا"
فدعوا "جعفرَ" وآنسوا "برمكا" فالندى فى غيره عينُ الدَّعِى (٣)

(١) فى الأصل « ليس » وهو خطأ . (٢) يشير الشاعر الى المعجزة الكبرى التى حباها الله يوشع — عليه السلام — وهى رد الشمس عليه بعد غروبها، وهذه القطعة مقتبسة من قوله تعالى فى كتابه الكريم : (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى، فلما أتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) .
(٣) فى هذه القطعة أسماء خلفاء ووزراء معروفين، وقد استعمل بعضها الناظم فى مقام النورية .

* * *

أنتَ ـ مذ كنتَ ـ الرئيسُ الأعظمُ
غير خافٍ والأعزُّ الأكرمُ
كِدتَ من طُول التعالى تسأمُ،
رتبَ السؤددِ، لكن صدّكا كرمُ العهدِ وحفظُ الموضعِ

* * *

لك فى كلِّ مكانٍ مفخرُ
أثرٌ يُروَى ومجدٌ يُذكَرُ
فبقاعُ الأرض لولا العنصرُ،
هزَّها الشوقُ فسارت نحوكا ولكم رامتْ فلم تستطعِ

* * *

قد مضَى الصومُ ملاقِى ربِّهِ
جاعلا سِرَّك نجوَى قلبِهِ
وأتَى العيدُ فهنئتَ بِهِ
فهو قد هنّئ من قبلُ بِكا وأبَى فى ذِروةِ عزٍ أمنعِ

* * *

وأمِش فى روضِ التهانى وأركُض
وأصحبِ الدهرَ الى أن ينقضى
ولئن هنِّئتَ بالعيدِ الرِّضى،
فلكُلِّ الدهرِ يلقَى عندَكا بهجةَ العيدِ وأُنسَ الجُمَعِ

* * *

ربَّ يومٍ قد رأيتُ الأُفُقا (١) (٢)
خائفًا بالبرقِ أن يُخترَقا

(١) فى الأصل "بالبرد" وهو تحريف . (٢) كذا بالأصل ويحتمل أيضا أن تكون "يحترقا" وكلتا الكلمتين يستقيم بها المعنى إذ سبق للشعراء أن شبهوا البرق بالنار وبالسنان ، قال الأبيوردى :

لاح برق فظن فى الجو نارا أو سنانا يشق نقعا مثارا

وبدا البـــدرُ مَرُوعا مُشفقـا
لابسا لمّـا تجـلّى فَنَـكا[1] وبدت شمسُ الضحى فى بُرْقُع

* * *

وكأنّ الجوَّ حربٌ تصطلى
قـد أثار الغيمُ فيهـا قَسطـلا[2]
فآنتضى البرقُ عليه مُنصُـلا[3]
فبكى الغيثُ حيًا إذ ضحِكا خافقَ القلب مَروعَ الأضلُع

* * *

فآقتـدِحْ بالمزج نارَ القـدَح
نصطلى إن نحن لم نَصطبح
وأغنّيـك ولـم تقـترح
(أيها الساقى إليك المشتكى كم دعوناك وإن لم تسمع)

وقال أيضا يمدحه ويعارض الموشح الذى أوّله :

(زارك من نحوهِ النسيمُ عاطـرْ مخبّرَا : أنَّ اللقَـا فى غدٍ يكونُ)

* * *

باتَ وسُمّـارُهُ النجـومُ ساهِرْ فمن تُرَى علّمك النومَ ياجفونُ ؟
صبٌّ الى مذهب التصابى صابى لا يَعدِلُ
بجنبُـهُ خافـقُ الجنـابِ نا بى مبلبَـلُ
والطرفُ من دائم آنسكابِ كابى مخبَّـلُ
لسانُه للهـوى كتـومُ سـا تِرْ لِما جرى والشانُ أن تُستَر الشئونَ

(١) الفنك : فرو يلبس . (٢) القسطل : غبار الحرب . (٣) المنصل : السيف .

* * *

سباهُ مستملَحُ المعانى عانى به البصرْ
بذكرِه مَنْ شدَا الأغانى غانى اذا ذُكِرْ
يقول : ما ناظرٌ يرانى رانى الى القمرْ
يرنو الى وجهِىَ الحليمُ حائرٌ لمَّا يرَى مرأًى به تُفتنُ[1] العيونُ

* * *

من أين للبدر فى الكمالِ ما لى فيوصَفُ ؟ !
والغصنُ هل عِطفُهُ بحالى حالى مزخرَفُ
وعارضُ النقص للهلالِ لا لى والكَلَفُ[2]
ولا فمُ الشمس منه "ميمٌ" ظاهرٌ لمن قرا ولا من الحاجبيْن "نونُ"

* * *[3]

ما كنتُ لو ما درى بشانى شانى أخشَى اقتضاحْ
أفدِى الذى راح للثانى ثانى عِطف المِراحْ
أنا لئن صدَّ أو جفانى فانى ولا جُناحْ
لمَّا لوَى الجيدَ قالتُ[4] : رِيمُ نافرٌ ثم آنبرَى يمشى كما تثنى الغصونُ

* * *

يا نفس، فى خدِّه الأسيلِ سيلى وإن دعَا،
هوِّى الى وجهه الجميلِ ميلى مع الهوى
وإن تجاسرْتِ أن تقولى قولى : اذا بدا،
فى محفلٍ[5] وجْهك الوسيمُ سافر ليُنظرا فيُعذَرَ المدنَفُ الحزينُ

(١) فى الأصل هكذا «يقتن» . (٢) الكلف : نقط سوداء تظهر على وجه القمر .
(٣) الشانئ : المبغض . (٤) الريم – ويهمز – : ولد الظبية . (٥) هذه الكلمة فى الأصل لم يظهر منها إلا حرفان وهما : «الفاء واللام» فلم نجد من الكلمات ما يوافق السياق إلا ما وضعناه .

* * *

أيا نداماىَ إنَّ بالى بالى فغرِّدوا ،
صوتا أنا عنه لأنتقالى قالى فرِّدوا : ،
فى رُتبِ المجدِ والمعالى عالى "ومحمَّدُ"
دام له العزُّ والنعيمُ قاهرْ مقتدِرَا يُعِزُّ إنْ شاءَ أو يُهين

* * *

طبتم وطابت لكم أصولُ صولوا بها ، وإنْ ،
شِئْتُم على الدهر أن تطولوا طولوا ، فما ومَنْ ؟!
وقطر جدواك إذ تُنيل نِيلُ مدَى الزمنْ
وعَرْفُ ذكراكُمُ نسيمُ عاطرْ اذاسرى طاب به السهلُ والحزونُ(١)

* * *

ومجدُكُم بين ذى العبادِ بادى لايختفى
فوق الرُّبى منه والوهادِ هادى من يقتفى
قلتم له : قم بكل نادِى نادِ : هل معتفى ؟
فأعجبْ له وهو لا يَريمُ سائرْ مشمِّرا تُحدَى به العيسُ(٢) [والسُّفين](٣)

* * *

صُلبٌ على حادثٍ يُقاسى قاسى للزَّمَنِ
طَودٌ لدى موقفِ المراسِ راسى لاينثنى
يلقَ الوغى فى لباسِ باسِ محصَّنِ ،
ليثا اذا التفَّت الخصومُ خادرْ من الشَّرَى له القنا فى الوغى عرينُ

---

(١) الحزون : جمع حزن وهو ضد السهل . (٢) العيس : النوق . (٣) هذه الكلمة فى الأصل هكذا : « والـ » وباقيها ذاهب ، ولعل ما كملناها به أقرب ما يكون الى الصواب .

* * *

كم مَوقفٍ ليس للسلاح لاحِى فى الأرؤس
وكاتبُ المـوتِ بالرماح ماحِى للأنفُس
جَبانُه ظاهرُ آقتضاح ضاحِى لم يُرمَس
رَزَنتَ إذْ خفَّت الحُلُومُ شاهرٌ مجوهَرا يفعل ما تشتهى المنونُ

* * *

وشادنٍ بات للتجافى جافى وصلِه[1]
عاهَدنا أنه يوافى وافى لعهدِه
فموردُ الأنس والتصافى صافى بوعدِه
(زارك من نحوه النسيمُ عاطرٌ مخبِّرا أنَّ اللقا فى غدٍ يكونُ)

* * *

وقال يمدح الأمير الأجلّ الكبير العالى الصدر الأوحد، الأعزّ الأمجد، سيّد الأمراء، مجد الكبراء، المجتبى الكبير، "فخر الدين" حسام أمير المؤمنين،

(١) يلاحظ هنا أن الشاعر خرج من المديح الى الغزل، وهو ماسمه قوم الموشحات فى أكثر موشحات المدح، ذلك بأن يختم الموشح بالغزل ويخرج من المدح اليه كما يخرج من الغزل الى المدح، وهذا هو الأكثر فى عملهم والأظهر من مذهبهم، و بهذه المناسبة نقول: إن الموشحات تنقسم الى قسمين:

الأول: ما جاء على أوزان أشعار العرب.

الثانى: ما لا وزن له فيها.

و يقال: إن ما جاء منسوجا من هذه الموشحات على الوزن الشعرى فهو المرذول ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء، وليس هنا موضع الإطالة والإسهاب فى الأوزان التى آبتدعها أهل هذا الفن كابن بقىّ والتطيلى أبو بكر المعروف بالأعمى وغيرهما ولا دخل لها فى شىء من أوزان العرب فإن أوزانها كثيرة وعددها لا يحصر وشاردها لا ينضبط، ومن شاء المزيد من معرفة أوزان الموشحات فليقرأ كتاب "دار الطراز" وهو نسخة خطية قديمة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٣٨ أدب، لمؤلفه القاضى السعيد أبى القاسم بن هبة الله بن جعفر بن سناء الملك الكاتب رحمه الله.

يوسف بن الشيخ الإمام العالى الصدر الأوحد ، صدر الدين شيخ الشيوخ آبن حمويه :

دع الصِّبا يمرّ فى التصابى قبلَ تجلّى سكرةِ الشبابِ
وآنتهز اللذاتِ فالعيشُ فُرْصْ ربَّ سرورٍ كامنٍ فيه نَغَصْ
قُم يا غلامُ هاتِها وها كا وآعصِ هوى العاذلِ فى هواكا
أما ترى ظلَّ السرور سابغا ومشرَبَ العيش هنيئا سائغا؟
فى روضةٍ قَيْد النظرْ تشكرُ آلاءَ المطر
ترنو بأحداقِ الزَّهَرْ تحسبُها(١) بعدَ السَّحَرْ،
قد آنتثرْ فيها دُررْ
أو آنتشرْ منها حَبَرْ

* * *

تجلّت الشمسُ عليها سافرَهْ فقابلتْها بنجومٍ زاهرَهْ
ترمقُها حين دنا طلوعُها بمُقَلٍ ترقرقتْ دموعُها
تبكى وفى الأوجه بِشرُ الضَّحِكْ فآعجبْ لها تضحَكُ وهى تبكى!!
تمايلتْ تمايُلَ السقيمِ لمّا أحسّتْ بسُرَى النسيمِ
فأشفقتْ(٢) على حذَرْ وفرِقتْ من الخفَرْ
من قبل أن يُقضَى وطَرْ نودُّ لو كان آستترْ
ذاك العَطَرْ لمّا خطرْ
على الزَّهَرْ ساءَ وسرّْ

(١) فى الأصل «تحيها» وهو تحريف .
(٢) فى الأصل « فاشفقت » وهو تحريف .

* * *

بات الندَى يُشربُها نعيما ... كما يغذّى والدٌ فطيما
فأصبحتْ ودرعها بليلُ ... تكاد من قِطاره تسيلُ
وأهدتِ الصَّبَا لها كافورا ... فلأتْ أردانها(١) عبيرا
كأنما نُوّارُها المستحسَنُ ... ألسنةٌ تُنطِقُ فيها أعينُ
تُفصح(٢) فى بثّ الخبرْ ... عن الحديث بالنظرْ
بمقلةٍ فيها صُوَرْ ... حسناءَ من غير حورْ
فمَن نظرْ ... فقد خبرْ
ما قد ظهرْ ... وما استترْ

* * *

وافيتُها فى أُخرياتِ ليلِ ... قد انطوى إلا فضولَ الذيلِ
فى فتيةٍ مثلِ النجوم الزُّهْرِ ... حلُّوا من الليلِ محلَّ الفجرِ
من كلّ حالٍ بحُلَى الفضائلِ ... حُلْوِ الحديث حسَنِ الشمائلِ
صافى غديرِ الودّ والشئونِ(٣) ... يجمعُ بين النُّسك والمجونِ
لا ينطوِى على كدرْ ... غاب الجليسُ أو حضرْ
ينطِق من غيرِ هذرْ(٤) ... يصمُتُ من غيرِ حصرْ(٥)
فقد ظهرْ ... فيه أثرْ
طيبُ الخبرْ ... والمختبرْ

(١) الأردان : جمع ردن وهو الكم . (٢) فى الأصل «تصنع» ولا نشك فى أنه تحريف .
(٣) فى الأصل «مافى» وهو تحريف . (٤) الهذر : الكثرة فى الكلام . (٥) الحصر : العى فى النطق .

* * *

باتوا يديرون كئوس الراح حتى انفرى[1] الليل من الصباح
يغار لون الروض بالفنون من غرر المدح "لفخر الدين"
بشرى بنى الآمال ثم بشرى شكرا لما أوليتموه شكرا
قوموا انظروا للبدر فى سعوده يجرى الى الغاية فى مزيده
أدرك فيه ما انتظر وليه حين صبر
فليهنه حلو الظفر وليوف ما كان نذر
جاء القدر على قدر
حين جبر لما[2] كسر

* * *

قد غفرت إساءة الزمان إذ سرنا "بيوسف" الإحسان
يا مرحبا بالقمر المنير يبدو بعينى خابط الديجور[3]
ومرحبا بالغيث فى أوانه همى على المجدب فى أوطانه
ما كان إلا القمر استسرا ثم انجلى بعد السرار بدرا[4]
ورونق العضب[5] الذكر يبقى على صرف الغير
والبر فى عظم الخطر تمسه أيدى الضرر
وهى السير بين البشر
خير وشر نفع وضر

---

(١) انفرى : انشق ، وفى الأصل هكذا « انقوى » . (٢) فى الأصل هكذا « سر » .
(٣) الديجور : الظلام . (٤) السرار : المحاق . (٥) العضب : السيف القاطع .

✧ ✧ ✧

لله رأى المـلك المسـدِّد مُطلِع نجم سعدك المجدِّد
"الصالح" الوارث مُلك الأرض والنافذ البَسيط بها والقبض
إنا لنرجو أن تُرَى المكينا في نفسه وعبده الأمينا
فهو "العزيز" ولأنتَ "يوسُفُ" تَخْلُفُه في كلّ ما يُستخلَفُ
مؤتمرا بما أمرْ منزجرا عمّا زجرْ
عدل الفعال والسِّيَرْ عفّ الورود والصَّدَرْ
فلا عُجُرْ (٢) ولا بُجُرْ
ولا أشُرْ (٣) ولا خَوَرْ (٤)

✧ ✧ ✧

إنّ الملوكَ ما آصطفَوك قبلُ عن خِبرةٍ إلّا وأنتَ أهلُ
فُرُوكَ (٥) عن نُصح وعن وفاءِ وعن غَناءٍ أيّما غَناءِ
فهِمْ على علمٍ لُوُوا (٦) إليكا عن الرِّضا وآعتمدوا عليكا
لذا أحلّوكَ ذُرَى الجلالَهْ لم يفعلوا ذاك على جهالَهْ
ما زالتَ محمودَ الأثرْ في ظلمةِ الخطبِ قمرْ
في شدة الجدب مطرْ في غَمرة الخوف وزَرْ
تعطي البِدَرْ (٧) لا بقدَرْ
لمن شكرْ ومن كفرْ

(١) في الأصل «الناقد» وهو تصحيف . (٢) العجر والبجر : ما ظهر وما خفى ، أو هما : الهموم والأحزان . (٣) الأشر : البطر . (٤) الخور : الضعف . (٥) فروك : كشفوا عنك وآختبروك . (٦) في الأصل : "لولو" . (٧) بدر : جمع بدرة وهي عشرة آلاف درهم ، وأصله جلد السخلة يملأ بالدراهم .

* * *

ليثٌ، إذا القومُ دعَوا : نَزالِ، ولَّى ظُباه قسمةَ الآجالِ

يا عجبا إذ يقبِض الحُساما بأنمُلٍ لا تعرف انضماما

ويأخذُ الأرواحَ من عُداتِهِ نهبا، وليس الأخذُ من عاداتهِ

بل كيف ظَلَّ الرمحُ وهو ظامى فى راحةٍ بحرُ نداها طامى

والطَّرفُ إن كانَ شعَرْ (١) بما به جاء ومرّْ

فى متنِه كيف اصطبرْ يحمِلُ ما يوهى المِرر (٢)

ليثا زأرْ غيثا همَرْ

بدرا زهَرْ بحرا زخَرْ (٣)

* * *

كهل الحجا يرتاعُ من وقارِهِ فتى الوغى لا يُصطَلى بنارِهِ

ذو خُلُقٍ تصبو اليه النفسُ وغُرّةٍ تضحك فيها الشمسُ

لا يأتلى (٤) فى كسبِ ما يمجُدُهْ من حَسَنٍ لسانُه ولا يَدُهْ

نال العلا بجدّه وحدّهِ فقد غدا فيها نسيجَ وحدِهِ

طاب أصولا وثمرْ سنَّ له القومُ الأثرْ

فى المكرمات فاقتفرْ (٥) فما ونَى ولا فترْ

حتى استقرْ ذاك المقرّْ

ثم عبَرْ وما اقتصرْ

---

(١) الطرف : الفرس. (٢) مرر : جمع مرة وهى القوة والشدة. (٣) فى الأصل : "نفرا" والصناعة تأباها. (٤) لا يأتلى : لا يتوانى. (٥) اقتفر : اقتفى وتتبع.

✧ ✧ ✧

فقد بنى المجدَ على أساسِ ... وشاد عُلياه على قياسِ
وزاد ما زاد بفضلِ نفسهِ ... لم يَرو فيه يومُهُ عن أمسهِ
سلْ عنه ذا علمٍ به وفَّصِ ... ترَ الورى كلُّهُم فى شخصِ
تكلُّ من واصفه لغاتُهُ ... فيه وليست تنقضى صفاتُهُ

أتيتُ منها بغُرَرْ ... فظنَّها قومٌ سُوَرْ
فتوّجوا بها السَّيَرْ ... ودبّجوا بها السَّمَرْ
تلك الخَبَرْ ... وشىُ الفِكَرْ
خُذْ وذَرْ ... لك الخِيَرْ

✧ ✧ ✧

وقال يمدحُ السلطانَ الملكَ الصالحَ نجمَ الدين أيّوب خلَّد اللهُ ملكه :

قضَتْ لك الشيمتانِ : العدلُ والكرمُ ... أن تخضعَ الأمّتان : العُربُ والعجمُ
وشُرِّفَ الدينُ والدنيا بدولتِك الـ ... ـغرّاءِ ، والأشرفانِ : العِلمُ والعَلَمُ
وأشرقتْ غُرّةُ الإسلام وانكشفت ... عن وجهه الغمّتانِ : الظُّلمُ والظُّلَمُ
وزايلَ الناسَ مذ ألقوا أزِمَّتَهم ... بكفّك الأنكدانِ : الخوفُ والعُدُمُ
فافخرْ ! فتلك بلادُ الله مثنيةٌ ... عليك ، والأطهرانِ : البيتُ والحرَمُ
وتِهْ ! فقد نُسِيَ الأجوادُ عند ندى ... يديك ، والأكرمانِ : البحرُ والديمُ
أنّى يُجارَى فتًى تجرى بطاعته الـ ... ـأقدارُ ، والمرهفانِ : السيفُ والقلَمُ
"بالصالح" الملكِ الميمونِ قد نظرتْ ... الى بنيها الليالى وهى تبتسمُ
فالدهرُ كالقِدْح ما فى متنه عِوَجٌ ... والعدلُ عُريانُ بادٍ ليس يلتثمُ

فما تُمتدّ إلى غير الحقوق يدٌ ... ولا يراقُ لغير المارقين دمُ

هذا هو الناس ! من "كسرى" و"ذو يزن" ... من الملوك ومن "مروان" و"الحكم" ؟؟

لا تعدُ عيناك عن عين الى أثرٍ (١) ... منهم فما يستوى الوجدانُ والعَدَمُ

يرضَى ويسخطُ للرحمن لا لهوى ... وفيه يعفو عن الجانى وينتقمُ

مَلْكٌ تظلُّ (٢) ملوكُ الأرض خاشعةَ الـ ... ـأبصارِ منه وإن جلّوا وإن عظُموا

فهم ملوكٌ به فى حيثُ ملكهمُ ... منها وهم حيثما كانوا له خَدَمُ

مقرَّبٌ كرما من كلِّ مكرمةٍ ... مبعَّدٌ أنفا عن كلِّ ما يصمُ

مستبشرُ الوجه والألوانُ كاسفةٌ ... وباسمُ الثغر والأرواحُ تُصطَلَمُ (٣)

والحاضرُ اللبّ والألبابُ طائشةٌ ... والثابت الجأش والأبطالُ تصطدمُ

صُلبُ الحقيقةِ لاضعفٌ ولا أفَنٌ (٤) ... ماضى العزيمة لا عجزٌ ولا سأمُ

آراؤه ظَفَرٌ رُواؤه قمرٌ (٥) ... ألفاظُه درٌ وكلُّه كَرَمُ

لا يعترى عزمَهُ فى مشكلٍ دَهَشٌ ... ولا تزلُّ به فى موطنٍ قدمُ

له خلائقُ صفّتْها مكارمُ نفـ ... ـسانيّةٌ منه لا التهذيبُ والحكمُ

هى السلافةُ (٦) إلا أنّها شُهُبٌ (٧) ... لكنّها الروضُ إلا أنها شِيَمُ (٨)

الله جرّد يا "أيّوبُ" (٩) منك على الـ ... ـأعداء سيفا به تسطو فتنتقمُ

من لم يكن بك دون الله معتصما ... فما له من جميع الناس معتصَمُ

هى الملوك لها الحكم المطاعُ على الـ ... ـأشباح ليست على الألباب تحتكمُ

---

(١) فى الأصل «للأثر» وهو تحريف لا يتزن به البيت . (٢) فى الأصل «يضل» وهو خطأ .
(٣) تصطلم : تستأصل وتجتث . (٤) الأفن : ضعف الرأى . (٥) الرواء : حسن المنظر .
(٦) السلافة : الخمر . (٧) الشهب : النجوم . (٨) الشيم : السجايا .
(٩) فى الأصل هكذا "ايوب" .

لكنك الملكُ الهادى الذى خضعتْ ... له السرائرُ والأشباحُ دونهمُ
قرَّتْ بسطوتك الدنيا ومهَّدها ... تدبيرُ أروعَ تُستسقَى به الديمُ (١)
فالمُلك صدرٌ بعزّ النصر متّشحٌ ... و"مصرُ" ثغرٌ بثغر الأمن مبتسمُ
فأيّما سِرتَ من أقطارها لَقَمٌ (٢) ... وحيثما بتَّ من أرجائها حرمُ
فاسلم لنا فى سنىّ العيش محتكما ... فى الأرض لا تتعدَّى كفَّك النِّعمُ
وانهِضْ إليك قُطوفَ اللهو دانيةً (٣) ... فالدائم الجِدِّ قد يعتادُه سأمُ
فى ظلِّ ملكٍ تُجارى الدهرَ مدّتُه ... كلاهما ما مدَى مِضمارِه أَمَمُ (٤)
وخذ إليك ابنةَ الفكر التى تركتْ ... بنى البلاغة يستزرون ما علموا
كأكعبِ الرمح لكن لا تثقّفها ... يدُ صُنّاعٍ (٥) ولكن فكرةٌ وفمُ
ما قال "أحمد" (٦) لو مرّت بمسمعِه ... (قد أفسد القولُ حتى أحمدَ الصممُ)

وقال يصف حَمامًا أحمرَ العين والرِّجل :

وأليفِ غصنٍ لا يفارقهُ ... صبُّ الفؤاد به متيّمهُ
يدعو بصوتٍ أستبين به ... معنى الحنين (٧) ولست أفهمهُ

(١) الديم : جمع ديمة وهى المطر الدائم . (٢) اللقم : معظم الطريق أو هو الواضح منه .
(٣) فى الأصل "النهر" وهو تحريف لا يدل عليه السياق . (٤) الأمم : القريب .
(٥) الصناع : الحاذقة الماهرة فى عملها . (٦) يشير الناظم الى أحمد بن الحسين الشاعر المشهور بأبى الطيب المتنبى ، وإلى قصيدته التى أنشدها فى حضرة سيف الدولة بن حمدان وهى آخر قصيدة قالها فى حضرته ومطلعها :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم * ما ذا يزيدك فى إقدامك القسم

وقد جاء فيها — وهو ما اقتبسه الناظم — :

ولا تبال بشعر بعد شاعره * "قد أفسد القول حتى أحمد الصمم"

(٧) فى الأصل «الجبين» وهو تصحيف .

فيميل بى طـــربا تمايُلُه ويهُـــزُّنى شـــوقا ترنُّمُه
يُبدِي أسى الباكى ورقَّتَـه فى نوحه ، والدمعَ يكتُمُه
نحَرَ الأسى إنسانَ مقلتـــهِ فجرى فخضَّب رجلَه دمُه

* * *

وقال على لسان إنسان :

يأيها المـــلكُ الذى أضحى له الثَّقـلانِ مِلكا
قـــد نلتُ ما أرجـــوه فيـ ـك فأينَ ما أرجوه منكا

* * *

وقال فى مُغَنٍّ يلقَّبُ بالأمين

غِناءُ "الأمينِ" يخونُ العقولا ويُسكر من لا يُسَقَّى الشَّمولا (١)
كمَرِّ الشَّمالِ ودَوْرِ الشَّـــمول ونجوَى الحمَام تداعتْ هَديلا (٢)
فلو كان عُمْرا لكان الشـبابَ ولو كان وقتًا لكان الأصيلا

* * *

الوسيلة المشفَّعة، فى مناقب الخُلَفاء الأربعة

كلٌّ من الخُـلَفاء غيرُ مُحلَّإٍ (٣) عن مَورِد الشَرفِ الذى لا يُورَدُ
ولهم سـوابقُ أنزلَتْ كلَّ آمرئٍ حيثُ آقتضـاه له التُّقَى والسؤددُ
وأقـــر بعضُهُم لبعضٍ بالذى يسـمو به من فضـله ويُمجِّـــدُ
فمضَـــوا ولم يتدافعوا حسـناتِهم كلٌّ لصـاحبه يُقِـــرُّ ويَشهَـــدُ
وإذا هُمُ أخذوا مراكزَ فضـلهم فى رتبـــةٍ يخطُّ عنهـا الفـــرقدُ

(١) الشمول : الخمر . (٢) الهديل : ذكر الحمام أو فرخها . (٣) المحلا : الممنوع من ورود الماء .

* * *

خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضى الله عنه

"فَعَتِيقٌ"[1] سابقُهم، وليس بمنكرٍ ... سَبْقُ العَتِيقِ[2]، وفضلُه لا يُجحَدُ

ذاك الذى نشأ الهدَى فى حِجره ... وجفاه فيه قريبُه والأبعدُ

ودعا به الإسلامُ أولَ أمرِه ... فأجاب داعيَهُ وما يتردَّدُ

قل لى بعلمٍ فيه: أىُّ كريمةٍ ... ليست له تُروَى وعنه تُورَدُ

من شدَّ بالتصديقِ أزْرَ "محمدٍ" ... واستقرب النبأَ الذى يُستبعَدُ

مَن فكَّ أعناقا تُغلِّلُ خشيةً ... لا نعمةٌ تُجزَى لهنَّ ولا يَدُ

من راشَ ناهضةَ الرسولِ بمالِه ... وحنا عليه يذُبُّ عنه ويُسعِدُ

أعطى وآثر بالكثير زمانَ لا ... معطٍ يجودُ ولا قليلٌ يُوجَدُ

سَلْ مُحكَمَ التنزيل أعدلَ شاهدٍ ... عنه وعن أيامه فسيشهدُ

وصلتْ يداه جَناحَ "أحمدَ" إذ غدا ... من قومه حَرِدًا[3] "ليثربَ" يقصِدُ

آساه فهو رفيقُه وكفاه فهـ ... ـو معينُه وهَداه فهو المرشِدُ

وأنيسُه فى الغارِ والفادى له ... بالنفس حين يجوسُه ويمهِّدُ

وأخوه فى الإسلام إذ لم يتَّخذْ ... خِلًّا وصاحبُه الأودّ الأوكَدُ

وإليه أفضَى بالخلافة بعدَه ... فمضى وقلَّده الذى يتقلَّدُ

---

(١) عتيق: اسم آخر أو هو لقب لأبى بكر رضى الله عنه وقد اختلف فى تسميته بعتيق، قالت عائشة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبو بكر عتيق الله من النار».

وروى عن أبى يحيى حكيم بن سعد قال: سمعت على بن أبى طالب يقول: «إن الله هو الذى سمى أبا بكر عتيقا على لسان رسول الله». وقيل سمى عتيقا لجماله، وفى ذلك أقوال شتى ليس هنا موضعها.

(٢) العتيق: الفرس الكريم. (٣) الحرد: المنفرد.

فمشى على آثاره متتبّعا ... لا قاصرٌ عنها ولا متزيّدُ
فقد النبيّ المسلمونَ وساسهم ... صدّيقُه فكأنّهم لم يَفقدوا
وشفى صدورَ المؤمنين بخطبةٍ ... جلّت الشّكوكَ فنعمَ ذاك المشهدُ
وبهذيه كُفِيَ الجماعةُ فتنةً ... كادت تفرّقُ جمعَهم وتبدّدُ
يومَ "السقيفةِ"(١) إذ تنازع أهلُها ... فأتى فأطفأ نارَ شرٍّ توقّدُ
قرَعَ المسامعَ والقلوبَ بمنطقٍ ... لو كان يعقلُه(٢) لذابَ الجلمدُ
فأقرّ نافرةَ القلوبِ فأصبحوا ... راضين ، يجمعُهم جميعا مسجدُ
وتدارك الإسلامَ إذ زلّت به ... قدَماه حين قضى النبيُّ "محمّدُ"
عصَفت بأهل الدّين ريحُ بليّةٍ ... كادت قناتُهمُ لها تتأوّدُ(٣)
إذ شقّت العربُ العصا وتقطّعوا ... شيعا تَضلُّ عن الهدَى وتُعرّدُ(٤)
من كاذبٍ وصَلَ العُقوقَ وظالمٍ ... منعَ الحقوقَ وكافرٍ لا يسجُدُ
ورأى ذووا الإسلام أصوبَ رأيهم ... أن لا تُمَدَّ إلى نزاعهمُ يَدُ
حَذرا على سَرْح الهدَى من ذاعرٍ(٥) ... إن هِيجَ لم يؤمَنْ عليه تشرّدُ
فأبت متانةُ عزمه ويقينه ... أن يستقيد لمن ثناه تقيُّدُ
ورأت حميّتُه لدينِ "محمّدٍ" ... أن الهوادةَ فيه ليست تُحمَدُ
فسطَا بسيف الله يضربُهم به ... ضربا يُقَوِّمُ به الهدَى ويُوطّدُ

---

(١) يوم السقيفة : يشير الشاعر الى ما جرى بين المهاجرين والأنصار فى سقيفة بنى ساعدة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانتهاء الأمر بينهم بان أقاموا أبا بكر خليفة عليهم .
(٢) فى الأصل « ينعله » وهو تحريف والضمير فيه عائد الى الجلمد .
(٣) تتأود : تثنى وتتعطف .
(٤) تعرد : تنكل وتحجم ؛ وفى الأصل « تغرد » وهو تصحيف .
(٥) الذاعر : المخيف المفزع ؛ وفى الأصل « داعر » وهو تصحيف .

حتى آستقاموا مذعنين لأمره ... وبدا لحائرها الطريقُ الأقصدُ (١)

فقضى مآربَ سيفه حتى إذا ... رشَدَ الغوىُّ وأذعنَ المتمرِّدُ

عطَفَتْ إلى "الرّوم" الأسنّةَ شُرَّعا ... عزماتُ أروعَ زَنْدُه لا يُصلَدُ (٢)

"الفُرْسُ" أتحفَ ربَّها بهديّةٍ ... ما كان يُهدِى مثلَها متودِّدُ

خيلًا حملْنَ أسودَ "بيشةَ" (٣) فوقها ... بأسا وليس لها "ببيشةَ" مولدُ

فله على الإسلام — غيرَ خفيّةٍ ... آثارُها — مِنَنٌ بوادٍ عُوَّدُ

فرعٌ نمته ذؤابةٌ تيميّةٌ ... كُرُمتْ وطاب فروعُها والمحتِدُ

تنشقُّ عنه سُرَّةُ الوادى الذى ... ما حلَّ ناحيتيه إلا سيِّدُ

المهتدى الهادى الذى آنتظمت له ... غُرر المناقب والفعال (٤) الأمجدُ

وختامُ باهرِ فضلِه آستخلافُهُ ... "عُمَرا" عشيَّةَ جاءه ما يُوعَدُ

* * *

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وإذا "أبو حفصٍ" (٥) ذُكرت فمرحبًا ... بالصالحين فذاك جمعٌ مفردُ

ذاك المتوَّجُ تاجَ قولِ "المصطفَى" ... فيه وأىُّ صفاتِه تتعدَّدُ

وهو الموفَّق فى مواطنِ حُكمه ... آىُ الكتابِ لما يقولُ توكِّدُ

أمنيَّةُ الإسلام دعوةُ "أحمدٍ" ... للدين ينصره به ويؤيِّدُ

بزغتْ به شمسُ الهدَى وتدفّقتْ ... نورا ووجهُ الشّرك أسفعُ (٦) أربدُ (٧)

---

(١) يقال : جار عن الطريق اذا مال عن القصد ، والأقصد : الأقوم .
(٢) أصلد الزند : لم يور .
(٣) بيشة : واد باليمن مشجر كثير الأسود .
(٤) الفعال : الفعل الحسن .
(٥) أبو حفص : كنية سيدنا عمر رضى الله عنه .
(٦) الأسفع : الشاحب المتغير اللون .
(٧) الأربد : الأغبر .

وعلا منارُ الدِّين يُنْظَرُ جهرةً ... ملءَ العيونِ وكان سِرًّا يُعبَدُ
فى الجاهليَّةِ فضلُه ما فضله ... عريان ليس يغُمُّه مَن يُحسدُ
وأحلَّه الإسلامُ حيث أحلَّه ... فله الفخارُ طريفُه والمتلَدُ
ذو السيرةِ المُثلَى التى سارتْ له ... مَثَلا يَبيدُ الدهرُ وهو مخلَّدُ
وسِعَ الرعيَّةَ إذ تقلَّد أمرَها ... أمنًا يُقِرُّهُمُ ورفدا يرفدُ
وتطلَّعًا حَصْرَ السِّوارِ إحاطةً ... فيُسَدُّ مختَلُّ ويُصلَحُ مُفسَدُ
وإذا تهجَّعت العيونُ سرَتْ له ... تحت الظلام سَرِيَّةٌ(١) تتفقَّدُ
فتقيلُ وهو مهجِّرٌ يسعَى لها ... ويحوطُها فتنامُ وهو مسهَّدُ
سَعْيَ الأبِ البَرِّ الرءوفِ لِصبْيةٍ ... ضعفاءَ إن هو لم يقُتْهم يُجهَدُوا
الحاشعُ الأوَّاهُ يشتمل العبا(٢) ... وفرائصُ الثَّقلَيْن منه تُرعَدُ
تَحمصانَ منطوىَ الضلوع على الطَّوَى(٣) ... والعيشُ من جدواه أخضرُ أرغدُ
يدنو ويرفق للفقيرِ تواضُعا ... وتُذيبُ هيبتُه الملوكَ وتُجمِدُ
بَرْدٌ ومَرحمةٌ على كبِد الهدَى ... وعلى الضلالةِ غُلَّةٌ لا تَبرُدُ
ريَّان، ما انبجستْ ينابِعُ علمه ... إلا تدفَّق منه بحرٌ مُزبِدُ
طَلْقُ اليدين بمالِهِ سَمْحٌ به ... وهو الشحيحُ بدينه المتشدِّدُ
وصدوقُ هاجسةِ الظنون مُحدَّثٌ ... فى يومه عمَّا سيُحدِثُه الغَدُ
رُفعَتْ له فى كلِّ أرضٍ رايةٌ ... بيديْه فى أكناف "طَيبةَ" تُعقَدُ
فغدا سَوامُ الدِّين يسرَح آمنا ... فى الأرض يُتهِم كيفَ شاء ويُنجِدُ
وأقامَ منه عزمةً "عُمَرِيَّةً" ... طِفقَ العدوُّ لها يقوم ويقعُدُ

(١) السرية : قطعة من الجيش . (٢) العباء : كساء من صوف مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب ، وقد قصر للضرورة الشعرية . (٣) الطوى : الجوع .

ورمى فلم يُخطِ النحورَ ولم يكن ... يوما ليُخطى السهمُ وهو مسدَّدُ

نفحَ الصليبَ وعابديه بسَطوةٍ ... سأتْ نظامَ عقودهم فتبددوا

قسمَ المنيَّةَ والمذلَّةَ بينهم ... والذلُّ أكبرُ فى النفوس وأنكدُ

فمضرَّجٌ بدمائه[1] أو هاربٌ ... بذمائِه أو فى الحديد مصفَّدُ[2]

واستخلف الإسلامَ فى أوطانهم ... فغدا المثلَّثُ[3] ثمَّ وهو موحَّدُ

وأزال "قيصرَ" عن أسرَّةِ ملكه ... فنجا بمهجته يُشَلُّ ويُطرَدُ

يقرى على الشام السلامَ وقد لوى ... عُنُقا اليه لنظرةٍ تتزوَّدُ

وسما "لكسرى" "بالعراق" فأخمدتْ ... فتكاتُه نارا لهم لا تُخمَدُ

بفوارسٍ أجلَتْ وقائعَ منهمُ ... عن "فارسِ الأحرار" وهى الأعبُدُ

ورمى مَقاتلَ "مصرَ" غير مخاتلٍ ... رميا تُصابُ به الطُّلَى[4] والأكبُدُ[5]

فأتته طائعةً تلوذُ بعفوِه ... من بأسه وهُمُ بذاك أسعدُ

وتتبَّع الدنيا بهمَّة راغبٍ ... فيما هنالك وهو فيها أزهدُ

* * *

أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه

وإذا "أبو عمرو"[6] عددتَ فعالَهُ ... نفدَ الكلامُ وفضلُه لا ينفدُ

ذاك الذى بعثتْ فواضلُ كفِّه الـ ... ـإسلامَ وهو من الخَصاصةِ[7] مُقعَدُ

---

(١) الذماء : بقية النفس . (٢) المصفد : المكبل . (٣) المثلث : من يدين بالأقانيم الثلاثة وهى الأب والابن وروح القدس . (٤) الطلى : الأعناق ، واحدها «طلية» .

(٥) الأكبد جمع كبد ، بفتح الكاف وسكون الباء كعبد وأعبد ؛ وقد وردت فى شعر المتنبى :

يلقاك مرتديا بأحمر من دم * ذهبت بخضرته الطلى والأكبد

(٦) كنية عثمان رضى الله عنه بولده عمرو . (٧) الخصاصة : الفقر .

وعليه — إن ذُكِر الفخارُ بمشهدٍ — تاجُ الفخارِ بكلِّ كفٍّ يُعقَدُ

من يشهدُ الملوانِ[1] أنّ زمانَه يومٌ يصوم وليلةٌ يتهجّدُ

ألفاهما ضيفين ينتابانه والضيفُ يُكرِمه الكريمُ الأجودُ

فقراهما ممّا يلذُّ لديهما بقرًى إذا بَلِيَ القِرَى يتجدّدُ

عَمَلًا تُسَرُّ به الملائكُ عندما يَرقَى به المَلَكُ الكريمُ ويصعَدُ

إن تقفُ آثارَ المآثرِ تلقها وطريقُ نِسبتها إليه مُعبَّدُ[2]

نطقَ الكتابُ بفضلِه فمِنِ الذى يرتابُ فيه جهالةً أو يجحَدُ!!،

إلا كفورٌ للهدى متنكّبٌ أو جاهلٌ فى غيِّه متردّدُ

فاسألْ به الإسلامَ أيّةُ خلّةٍ[3] لم يُجلِها عنه بجودٍ يُنجِدُ

أم هل تضمّنه مقامٌ لم يكن يسعَى الى الإحسان فيه ويَحفِدُ[4]

فى بَيْعةِ الرِّضوان فاز بصفقةٍ عذَرَتْ أعادى مجده أن يَكمِدوا

إذ بايعت عنه "النبيَّ المصطفَى" يدُه الكريمةُ، حبّذا تلكَ اليدُ

فمن أجلِه عُقِدَتْ ومنه شُرِّفَتْ وأخو السعادة للسعادة مُرْصَدُ

وبحسبه أن لم يغبْ عن مشهدٍ إلا وأدركَ فيه فضلًا يُشْهَدُ

وغداةَ "جيشِ العُسرةِ"[5] المندوبِ إذ قعَدوا وعندهمُ المقيمُ المقعِدُ

جهدٌ يصدُّ عن الجهاد، إذا هُمُ نَهَدُوا[6] اليه ثناهُمُ أن ينهَدُوا

---

(١) الملوان : الليل والنهار . (٢) معبد : مذلل . (٣) الخلة : الحاجة . (٤) يحفد : يسرع ويخف .

(٥) جيش العسرة — بضم العين وسكون السين — جيش غزوة تبوك لأنهم ندبوا اليها فى حمارة القيظ فعسر عليهم وتعرف « بالفاضحة » لافتضاح المنافقين فيها بما نزل فيهم من الآيات الدالة على كذبهم، كقوله تعالى : « وقالوا لاتنفروا فى الحر » وتفصيل ذلك يرجع اليه فى مظانه .

(٦) نهد : نهض ومضى .

لبّى الرسولَ وقد دعا مسترفدًا : بأبى وأمّى ذلك المسترفدُ،
بمواهبٍ ضمِنَ الرسولُ له بها جنّاتِ "عدنٍ" فى ذراها يخلُدُ
وهو المحبّبُ فى "قُريشَ"، ومثلُهُ عكفَتْ عليه محبّةٌ وتودُّدُ
يجلُو ظلامَ الشكِّ عن عَلياتِهِ نُورانِ، ظَلَّ سَناهما يتوقّدُ(١)
وصلَا حبالَ "محمّدٍ" بحبالِهِ مع قُربِ قُرباه التى لا تبعُدُ
وهو المضاعَفُ أجرُهُ بمصيبةٍ ما خانَهُ صبرٌ لها وتجلّدُ(٢)
مكروهةٍ ما كان يُمنَحُ أجرَها إلا الأبرُّ من الرجال الأرشدُ
ترك الدفاعَ فلا السِّنانُ مسدَّدٌ للذَّبِّ(٣) عنه ولا الحسامُ مجرَّدُ
مستسلمًا لله ينفذُ حكمه فيه فليس بغيره يَستنجِدُ
متحرِّجا من أنْ يُصيب ثيابَهُ دمُ مسلمٍ وإن اعتدَوا يتشهّدُ
فسخَا بمهجته كعادةِ جُودِهِ والمرءُ لا يدعُ الذى يتعوّدُ،
جَذَلًا(٤) بلُقيانِ(٥) الحبيبِ وقوله : إنّ العشيّةَ للزيارةِ مَوعِدُ
ولكُبرِ ما نقَموا عليه ضلّةً قُربَى تُبرٌّ وهفوةٌ تُتغمّدُ(٦)
سُلِبَ البقاءَ الرَّذْلَ(٧) غيرَ مذمَّمٍ مسلوبُهُ، فله البقاءُ السَّرمدُ
عجبا على عجبٍ لأمرٍ واحدٍ هذا به يشقى وهذا يَسعَدُ

---

(١) يشير الناظم بذلك الى أن سيدنا عثمان يلقب « بذى النورين » لزواجه بالسيدة رقية والسيدة أم كلثوم وهما بنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢) يشير الناظم بهذا البيت والأبيات التى بعده الى حادثة قتله رضى الله عنه . (٣) الذب : الدفاع . (٤) الجذل : الفرح . (٥) اللقيان : اللقاء . (٦) تتغمد : تستر . (٧) الرذل : الرذيل وهو كناية عن الشيخوخة . ومنه فى القرآن الكريم « ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » ؛ وفى الأصل وردت هكذا " الرذ " .

* * *

أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه

وإلى "أبى حسن"[1] تناهى سؤدد ... بهرَ العيونَ شعاعُه المتوقِّدُ

يمتدُّ شأوُ القول وهو مقصّرٌ ... عنه ويُطلَقُ فيه وهو مقيَّدُ

ذاك ابن عمّ "محمّد" وحبيبُ ر بِّ العرشِ والبطلُ الهمامُ الأنجدُ

حامى حمى الإسلام جُنّة[2] "أحمدٍ" ... دون المكارهِ ليس عنه يُعرَّدُ[3]

وقف الفخارُ عليه وقفةَ مقسِمٍ ... أن لا يريمَ يمينَ برٍّ يجهَدُ

بل أين عنه لسؤددٍ مَعْدًى ولو ... لا بيتُه[4] النبوىُّ لم يك سؤددُ

فالفضلُ ـ ما حدَّثْتَ ـ عنه صريحُه ... لا المذقُ[5] منه، وجِدُّه ليس الدَّدُ[6]

من "هاشم" طَرفاه، كيف نسبتَهُ ... عَظُمَ الفخارُ وطاب هذا المولِدُ

أخذت مناسبُه مطالعَ سعدِها ... فى حيثُ لا نَسرٌ[7] هناك وفرقدُ

الجَدُّ والأبُ والعُمومة والبنو ... نَ الغُرُّ، ما أدراك ماذا تسرُدُ!!!

وشجتْ[8] الى عِرق النبىِّ عروقُه ... فغدا وحبلُ فخارِه مُستحصِدُ[9]

مَن كان منه، فلو تكون نبوّةٌ ... كانت له إرثا بها يتفرَّدُ

صِهرُ الرسول ومَن نشا فى حِجره ... طفلا يسير بهَدْيه ويقلِّدُ

السابق الإسلامِ ناصرُ حزبِه ... ولسانُ حجّته الأعفُّ الأزهدُ

---

(١) أبو الحسن : كنية الإمام على بولد سيدنا الحسن رضى الله عنهما . (٢) الجنة : كل ما وقى من سلاح . (٣) يعرد : ينحرف وينكل ، وفى الأصل «يعود» وهو تحريف .
(٤) فى الأصل « لأنيته » وهو تصحيف . (٥) المذق : اللبن المخلوط بالماء .
(٦) الدد : اللعب . (٧) النسر والفرقد : نجمان فى السماء . (٨) وشجت : اشتبكت .
(٩) المستحصد : المحكم الفتل .

صلّى صلاةَ القبلتين معًا ولم ... يعقِلْ سوى ذى العرشِ ربًّا يُعبدُ
ودَعا "النبىُّ" لقلبِهِ ولسانِهِ ... فأجيب، ذا يَهدى وذاك يسدِّدُ
بحر العلوم السيّد الصمد الذى ... فى كلّ معضلة اليه يُصمَدُ (١)
سَمْح الخليقة سهلها لكن له ... عند الحفيظة سَوْرة وتشدُّدُ
مَلَكَ التواضعَ والمهابةَ أمرُهُ ... هذا له يُدنى وهذى تُبعِدُ
المرتضَى العدل المطهَّر من أذى الـ ... ـأرجاس تطهيرا له يتعمَّدُ
ذو الفضل والحُكم المسدَّد والقضا، ... للفضلِ يُصدِر لا يزال و يُورِدُ
العابدُ الورِعُ الذى ما غرَّه ... ومْضُ اللُّجَيْنِ (٢) ولم يَرُقْه العَسْجَدُ (٣)
يصل الهواجرَ صائما و إذا انطوى ... عنه النهارُ فليلَه لا يَرقُدُ
خشِنُ الملابس والمطاعم ما لَهُ ... من دون ذى الحاجات بابٌ موصَدُ
ينهاه عن خَفْض المعاش ولينِهِ ... ورَع يظَلُّ بقيده يتقيَّدُ
من لا يدين بحبّه وولائه ... بالفضل إلا مؤمنٌ لا يُلحِدُ
فانظر إذا مثلَتْ لديك صفاتُهُ ... عن أيِّها الشرفُ المؤثَّلُ يبعُدُ
جاز النجومَ فخارُه فدعونه : ... قِفْ حيث أنت فما وراءَك مَصْعَدُ
عادَى ووالَى اللهَ مَن عادى ومَن ... والى، فذا الأشقى وهذا الأسعدُ ! !
من لم يزل دون "الرسول" يحوطه ... كالليث حولَ عرينه (٤) يتعهَّدُ
شاكى السلاح لكلِّ يومٍ كريهةٍ ... لا عاجزٌ وَكِلٌ (٥) ولا متبلِّدُ
بالرُّمح معتقلٌ له وبقوسه ... متنكِّبٌ (٦) وبسيفه متقلِّدُ

(١) يصمد : يقصد . (٢) اللجين : الفضة . (٣) العسجد : الذهب .
(٤) العرين : مربض الأسد . (٥) الوكل : الضعيف الناكص . (٦) المتنكب : واضع القوس على منكبيه .

فهو الشجاع إذا الكماةُ تلاحظت ... والبيض تُبرق بالمنون وتُرعِدُ

ما فرَّ قطّ، وما أعدَّ لظهره ... درعا لظامِي الرمح فيها مورِدُ

طلقُ الأسرَّة والوجوهُ عوابسٌ ... ماضى العزيمة والقنا يتقصَّدُ (١)

حمّال ألوية "النبى" ومَن له ... فى كلّ معترَكٍ بلاءٌ يُحمَدُ

فى يوم "بدرٍ" لاح فى ليل الوغى ... بدرا، نهارُ الشرك منه أسودُ

وبسفح "أُحْدٍ" منه موقفُ واحدٍ ... بَذَّ الفوارسَ فهو فيها أوحدُ

وله بجزع "الخندقِ" الأثر الذى ... فُقِد المؤثِّر، وهو ذا لا يُفقَدُ

أودى "ابنَ وُدّ" (٢) ما هناك بضربةٍ ... ما قيل : إن العَودَ فيها أحمدُ

قسمَتْهُ قِسمةَ عادلٍ بيمينه ... شطرَيْن، يُتهِمُ ذا وهذا يُنجِدُ

وغداةَ "خيبرَ" حين صبَّحها الحمي ... سُ المَجْرُ (٣) يقدُمه اليها "أحمدُ"

أعطاه رايتَه وولَّى بارِئَ الـ ... ـعينين وهو — وقد أتاه — أرمدُ

رفعتْ عليه، فمن لحامل رايةٍ ... "جبريلُ" تحتَ لوائه و"محمَّدُ"؟!

فمشى إليها مشْيَ أروعَ باسلٍ ... قد مارس الغمراتِ، فهو منجِّدُ (٤)

فكفاك رأىَ العين من فعلاته ... ما طاب مَصدرُ ذكره والموردُ

وغداةَ حانت فى "حُنينٍ" جولةٌ ... للمسلمين بمثلها ما عُوِّدوا

ألقى مراسِىَ صبره وثباته، ... يحمى الحقيقةَ، والملائكُ شُهَّدُ

أسدُ الحروب، سِنانُه لا ينثنى ... دون "الرسولِ" وسيفُه لا يُغمَدُ

وأخو البلاغة، يُجتَنَى من لفظِه ... بيد المسامع لؤلؤ وزَبرجدُ

---

(١) يتقصد : يتكسر . (٢) ابن ود : هو عمرو بن ود قتله الإمام على فى وقعة الخندق .

(٣) المجر : الجيش العظيم، وفى الأصل «المجد» وهو تحريف . (٤) المنجد : الخبير بالأمور، مثل المنجذ بالذال المعجمة .

تتـدفّق الكَلِمُ الفِصاح اذا آنبرى ... للقـول تحسَـبها اليه تُحشَـدُ

كَلِمٌ تسحَّبَ فى الفصاحة دوحها ... كالبُرد منـه مُسهَّمٌ ومنضَّـدُ

سَلِسٌ كما سال(١) الغديرُ و بعضُـه ... جَزْلٌ كما سُلَّ(٢) الحسامُ المغمَـدُ

فتُراع مِنْ ذا بالعُقاب محلّقا ... وتحِنّ من ذا للحـمام يُغـرِّدُ

من مِثـلُه جَذا سما فبنى له ... بيتا له فوق الكواكب مقعَـدُ

أم من كمثـلِ أبيه أعظمُ مِنّـةً ... عند "النبىّ" يذُبُّ عنه و يعضُدُ

أيّامَ تهجرُه "قريشُ" فكلُّهـم ... قالٍ(٣) له متهـدِّدٌ متـوعِّدُ

لا ذنبَ إلا منعُـه "لمحمّـدٍ" ... منهم ، فكلٌّ عنه أزْوَرُ(٤) أصـيدُ(٥)

وغداة تُكتتبُ الصحيفةُ بينهـم ... جهَدوا هنالك جَهْدَهم فاستنفدوا

قطعوا بهـا أرحامَهـم وتألّبوا ... بغياً فما كرُموا هناك ولا هُـدُوا

أم من كعمَّيْه اللذين هما هما ... أم مَن كمثلِ بنيه فيمن يُولَدُ

أم من كعِترتِه(٦) المطهَّـرةِ التى ... من تلقَ منهم : قلتَ هذا السيّدُ

مدحتْـه آياتُ الكتاب فأطنبتْ ... وله بكلِّ فـمٍ مديحٌ يُنشَـدُ

من حاز أوصافَ الكمال فظنَّـه ... قومٌ بجهلِهـم إلهـا يُعبَـدُ

تتـفرَّقُ الأهواءُ فيه فمُفـرِطٌ ... ومفـرِّطٌ ومقاربٌ ومسـدِّدُ

تمت

(١) فى الأصل «كاسال» وهو تحريف . (٢) فى الأصل هكذا «يبل» وهو تصحيف .
(٣) القالى : الجافى . (٤) الأزور : المنحرف . (٥) الأصيد : الذى يرفع رأسه كبرا . (٦) فى الأصل : «كفرته» وهو تحريف .

وله أيضا، أنشدنيها ولم أجدها فى ديوانه :

يا حبَّذا مَسرَى النسيم وقد سرَى ... بجناب[1] مهتزِّ الثرى ميَّاسِهِ

ريّان عطَّرَ أرضَه وسماءَهُ ... عبَثُ الرِّياح بوردِهِ وبآسِهِ

وكأنَّ هينمةَ النسيم خلالَه ... شكوى المحبِّ يُبُثّ من وَسواسِهِ

وكأنّ نرجسَهُ المضاعَفَ خائضٌ ... فى الماء لفَّ ثيابَه[2] فى راسِهِ

وكأنّما التُّفَّاحُ كأسُ مدامةٍ ... شُربتْ، وأسأرَ[3] شاربٌ فى كاسِهِ

لم يستطعْ حملًا إليك لزهيرِهِ ... فأتاك منطويًا على أنفاسِهِ

---

(١) فى الأصل «نجاب» وهو تحريف . (٢) فى الأصل «ببابه» . (٣) أسأر : أبقى .

الصفحة الأخيرة من هذا المختار

يقولُ العبدُ الفقيرُ الى عفو الله عبدُ الله بن محمّد بن أحمد بن خالد بن القَيْسَرانيّ كاتب هذه الأحرف عفا الله عنه :

إنى رحلتُ فى طلَب سماع الحديث النبوىّ من حلَب الى مصرَ فى شهور سنة ثلاثٍ وأربعين وستّمائة، واجتمعتُ بالأميرِ "عَلَم الدّين أيدَمُر المُحيوىّ" رحمه الله، وكان شابًّا لطيفا فاضلا، وأنشدنى هذه الأبيات السينية التى أوّلها :

* ياحبّذا مسرَى النسيم *

وأحضرَ ديوانَ شِعرِه الى خالى الصاحب كمالِ الدين عمر بن هبةِ الله بن أبى جَرادَة — عُرِف بابن العديم — وكنتُ حضرتُ فى صحبتِه من حلب، وكان حضرَ رسولًا عن السلطان الملكِ "الناصر صلاح يوسف بن محمد بن غازى بن يوسف ابن أيّوب" الى السلطان الملك "الصالح أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيّوب" فتصفّحه وأعجبه نظمُهُ وكتبَ على الديوان أبياتا منها :

وكنتُ أظنُّ التُّركَ تختصُّ أعينٌ ... لهم إن رنَتْ بالسحرِ فيها وأجفانُ
الى أن أتانى من بديع قريضهم ... قوافٍ هى السِّحرُ الحلالُ وديوانُ
فأيقنتُ أنّ السِّحرَ أجمعَه لهم ... يُقرُّ لهم "هاروتُ" فيه "وسَحبانُ"

وكتبتُ هذه الأحرفَ فى العباسة[1] يومَ الأحد من شوّال سنة ستّ وثمانين وستّمائة،

ومولدى يوم الإثنين ثامن عشر شوّال سنة ثلاث وعشرين وستّمائة

والله يحسن العاقبة ويختم بالخير بمنّه وكرمه

(١) العباسة : بليدة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام، عمرت فى أيام الملك الكامل بن العادل بن أيوب وجعلها من متنزهاته، وسميت بعباسة بنت أحمد بن طولون، وذلك أن خمارويه لما زوّج ابنته قطر الندى من المعتضد وخرج بها من مصر الى العراق عملت عباسة فى هذا الموضع قصرا وبرزت اليه لوداع بنت أخيها، فكان يقال له : قصر عباسة، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبقى عباسة .

(مطبعة الدار ٩٨٣/١٩٣١/٢٢٥٠)

إستدراك

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٧	٤	يشاء	تشاء
١٩	١٤	متزع	مرتع
٢٧	٨	يلعب للخوف (١)	يبعث الخوفَ
٢٨	١٠	ذُراه	ذَراه (٢)

(١) كذا بالأصل ، وفاتنا أن نشير اليه بعدم اتزانه ، فتصرفنا فيه هنا بما يجعله متزنا

(٢) الذرا : الكنف .